الدعوة إلى الله

في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة



بقلم

سمير المبحوح

الدعوة إلى اللّٰه

في ضوء الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة

بقلم

سمير المبحوح

المقدمة

إنَّ الحمد لله نَحْمَدُهُ ونَسْتَعِينُهُ ونَسْتَغْفِرُهُ، ونعوذُ بالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ومِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لِه، ومَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وحَدهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ آل عمران [103]

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ النساء [1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ الأحزاب [70-71]

أما بعد؛

فإنَّ أصدق الحديثِ كتاب الله، وخيرَ الهدِي هَدْيُ محمدٍ ﷺ وشَرَّ الأمورِ مُحْدَثَاتِهَا، وكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وكُلَّ ضَلَالةٍ في النَّارِ(1)

وبعد:

من الأمور التي لا تخفى على كل عاقل، ما تمر به أمتنا الإسلامية اليوم من ظروف صعبة تستوجب على كل فرد من أفرادها أن يقوم بواجبه المنوط به، كل على حسب

(1) رواه مسلم.

تخصصه وطاقاته، ومن هذا الواجب واجب الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، وفق المنهج النبوي، وهذه أمانة في أعناق الدعاة وسيحاسب كل واحد قادر منا على هذا الواجب.

ولقد استغل أعداء الله تقصير المسلمين بواجبهم الدعوي، فعاثوا في الأمة فسادا وإفسادا وسخروا طاقاتهم لصرف المسلمين عن دينهم، حتى وصل الحال إلى ما وصل إليه الآن، وأمام هذا التحدي من قوى الشر والطغيان، لابد من وقفة من الدعاة تجاه مجتمعاتهم بالدعوة والنصح والإرشاد حتى نتمكن من دحض أعداء الله، وإعادة المسلمين إلى مجد أسلافهم.

فمتى قام العلماء الربانيون والدعاة الحكماء المخلصون بواجب الدعوة على منهجها الأصيل في الوسائل والغايات، فلا غرابة حينئذ في عودة الأمة الإسلامية إلى صوابها ومجد عزها، وذلك سهل ويسير لمن رجع إلى نصوص الكتاب والسنة الواردة في بيان هذا الباب العظيم، وإلى سيرة من قاموا بهذه الدعوة الكريمة المباركة في أول أمرها وبزوغ فجرها إذ لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها عقيدة وشريعة، منهجا وسلوكا، فلا داعي لاختراع أساليب جديدة وطرائق عديدة من تنظيمات حزبية ومظاهرات واغتيالات وتفجيرات وشعارات براقة.

لذا أحببت أن أساهم مع علمائنا في توضيح طريق الدعوة إلى الله من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة، امتثالا لقول الله تبارك وتعالى: { قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف:108] وأمره تعالى: { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ } [النحل:125]

واتباعا لهدي النبي ﷺ في دعوته، كما جاء في قوله: «**يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا**» [1]، وقوله: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**» [2].

واقتداء بسلفنا الصالح في دعوتهم إلى الله تبارك وتعالى وفق المنهج النبوي الحكيم.

والله أسأل أن يجعل عملي هذا في ميزان حسنات يوم القيامة، وأن يوفق إخواننا الدعاة إلى الامتثال بالمنهج النبوي في دعوتهم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وكتبه

سمير المبحوح

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

أهمية الدعوة إلى الله -تعالى-

من الأعمال الصالحة التي يتقرب بها الإنسان إلى ربه، الدعوة إلى الله، وهي من الأمور العظام التي تتضاعف بها الأجور، فكل من دعا إلى هدى كان له أجره وأجر من عمل به إلى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شيئا لقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ...**» الحديث[1]

وللدعوة أهمية كبرى في نشر هذا الدين وتعليمه وتكثير سواده، ويقوى هذا الدين بقوتها ويزداد بازديادها، ويضعف بضعفها، وعلى ذلك تجد لها الأثر الكبير في الحفاظ على المجتمع الإسلامي من التيارات والأفكار الدخيلة المنحرفة وغيرها.

وبالدعوة إلى الله يتحصن المجتمع المسلم من الهجمات الشرسة التي يشنها أعداء الإسلام، وعندما أدرك الصحابة رضي الله عنهم هذه الأهمية هانت عليهم نفوسهم الغالية، وأموالهم النفيسة، فحرصوا على إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام.

وكانوا يخرجون [2] في سبيل نشر هذا الدين في مشارق الأرض ومغاربها، ومن يدرس سيرة الصحابة رضي الله عنهم يجد أن الكثير منهم مات في غير موطنه، غادروا بلادهم، وبذلوا

---

(1) رواه مسلم.

(2) كان هذا الخروج بعد العلم الشرعي من رسول الله ﷺ.

أرواحهم في سبيل الله تعالى، حتى نشر الله بكم الإسلام، وانتشر العدل والأمان في الأرض.

فإذا قام الدعاة إلى الله بواجبهم، فإن قوى الشر والباطل تضمحل، وترتعد خوفا منهم، ووقتئذ فلا وجود لدعاة الشر والفساد.

والدعوة إلى الله هي السبب في الحفاظ على الدين وشعائره في المجتمع المسلم، وحاجة النفس البشرية إليها أشد من حاجتها إلى الماء والطعام والشراب، لأن النفس البشرية لا تسعد ولا يصلح حالها، ولا يطمئن قلبها إلا بهذا الدين.

ومن تجول في بلاد الكفر مع كثرة متاع الدنيا، لوجدهم في فراغ روحي لفقدان الوازع الديني عندهم، لا أمن ولا سلام ولا اطمئنان على أرواحهم وأولادهم وأموالهم مع كثرة القوى البشرية لتوفير الحماية لأفراد شعبها، وبالرغم من كل ما تنفقه هذه الدول من أموال طائلة، إلا أن عصابات القتل والفساد والشر تكثر بجميع أشكالها وأنواعها.

ولأهمية الدعوة إلى الله وردت في القرآن الكريم بصيغ شتى منها:

1- الدعوة بصريح لفظها: لقوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: { فَلاَ يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ } [الحج:67]

وقوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ } [الرعد:36]

2- الدعوة بصيغة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: لقوله تعالى {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران:110]

3- الدعوة بصيغة التبليغ: ومنها قوله تعالى لنبيه محمد ﷺ: { يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ } [المائدة:67]

وقوله تعالى: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاَتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلاَ يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } [الأحزاب:39]

4- الدعوة بصيغة النصح: ومنها قوله تعالى { لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ } [التوبة:91]

5- الدعوة بصيغة التواصي: منها قوله تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر:3]

6- الدعوة بصيغة الوعظ: منها قوله تعالى: { قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ } [سبأ:46]

7- الدعوة بصيغة التذكير: منها قوله تعالى: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } [الذاريات:55]

8- الدعوة بصيغة الإنذار: منها قوله تعالى: { وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ } [الشعراء:214]

وهناك صيغ كثيرة في القرآن الكريم، قد يطول المقام بذكرها.

هذه الصيغ وغيرها جاءت رحمة من الله للدعاة، فكل حسب قدرته ونشاطه، والأجر من الله يترتب على القيام بمضمون أي من هذه الصيغ.

والمتقاعس عن الدعوة - مع قدرته عليها - حرم نفسه من هذا الأجر العظيم، ولو تقاعس الصحابة - حاشاهم - عن الدعوة إلى الله، ما وصلتنا هذه الدعوة، وما عرفنا التوحيد من الشرك، والسنة من البدعة، والحق من الباطل، ولكن الله ﷻ شرح صدورهم للدعوة إليه، فقاموا بواجبهم حق قيام، فجزاهم الله خيرا عنا وعن جميع المسلمين.

مشروعية الدعوة إلى الله -تعالى-

الدعوة إلى الله من العبادات العظيمة التي من وفق إليها، وفق إلى القول الحسن، قال تعالى: { وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت:33]

وهذه الآية وردت بعد سياق آيات الاستقامة التي وصف الله بها عباده المؤمنين فقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأحقاف:13]

{ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ } [فصلت:33]

قال الإمام الطبري ﷺ في هذه تفسير الآية: «**يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ومن أحسن أيها الناس قولا ممن قال: ربنا الله، ثم استقام على الإيمان به والانتهاء إلى أمره ونهيه، ودعا عباد الله إلى ما قال وعمل به من ذلك**» (1)

وقال الحسن البصري: «**هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب الخلق إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحا في إجابته، وقال: إنني من المسلمين، فهذا خليفة الله**» (2)

وقال قتادة: «**هذا عبد صدق قوله عمله، وموجله مخرجه، وسره علانيته، وشاهده مغيبه**» (3)

وقال تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ } [يوسف:108]

---

(1) جامع البيان 12/117.

(2) نفس المصدر 12/118.

(3) نفس المصدر 12/118.

قال الإمام الطبري ﵀ في تفسير الآية: «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: «**قل**» يا محمد، «**هذه**» الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله، وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته «**سبيلي**» وطريقتي ودعوتي «**أدعو إلى الله**» وحده لا شريك له «**على بصيرة**» بذلك ويقين علم مني به «**أنا و**» يدعو إليه على بصيرة أيضا «**من اتبعني**» وصدقني وآمن بي «**وسبحان الله**» يقول له تعالى ذكره: وقل تنزيها له من أن يكون له شريك في ملكه، أو معبود سواه في سلطانه «**وما أنا من المشركين**» يقول: «**وأنا بريء من أهل الشرك به، لست منهم ولا هم مني**»(1)

وقال ابن كثير ﵀ في تفسير الآية: «**يقول تعالى لرسوله ﷺ إلى الثقلين الإنس والجن آمرا له أن يخبر الناس أن هذه سبيله أي طريقته ومسلكه وسنته وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة ويقين وبرهان عقلي وشرعي**» (2)

وقال الإمام الألوسي ﵀ في تفسير الآية: «**قل هذه سبيلي**» أي هذه السبيل التي هي الدعوة إلى الإيمان والتوحيد سبيلي.

«**أدعو إلى الله**» أي أدعو الناس إلى معرفته سبحانه بصفات كماله ونعوت جلاله.

---

(1) جامع البيان 8/79-80.

(2) تفسير القرآن العظيم 2/496.

«**على بصيرة**» أي بيان وحجة واضحة غير عمياء.

«**أنا ومن اتبعني**» أي من يتبعني كذلك هو داع إلى الله.

«**وسبحان الله وما أنا المشركين**» أنزهه سبحانه تنزيها عن الشركاء (1)

وقال تعالى: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } [آل عمران:104]

قال الإمام الطبري في تفسير الآية: «**يعني بذلك جل ثناؤه**» ولتكن منكم أيها المؤمنون «**أمة**» يقول: جماعة «**يدعون**» الناس إلى الخير يعني: إلى الإسـلام وشرائعه التي شرعها الله لعباده، «**ويأمرون بالمعروف**» يقول:

يأمرون الناس باتباع محمد ﷺ ودينه الذي جاء به من عند الله، «**وينهون عن المنكر**» يعني: وينهون عن الكفر بالله، والتكذيب محمد، وما جاء به من عند الله بجهادهم بالأيدي والجوارح، حتى ينقادوا لكم بالطاعة، وقوله

«**وأولئك هم المفلحون**» يعني: المنجحون عند الله الباقون في جناته ونعيمه (2)

وقال الإمام ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية: يقول تعالى: «**ولتكن منكم أمه منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأولئك هم المفلحون، قال الضحاك: هم خاصة الصحابة وخاصة الرواة يعني المجاهدين والعلماء ...**

(1) روح المعاني 13/67.

(2) جامع البيان 3/38.

والمقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن، وإن كان ذلك واجبا على كل فرد من الأمة بحسبه» (1)

قلت: ففي هذه الآيات مشروعية الدعوة إلى الله ﷻ وأن من اتبع النبي ﷺ هو داع إلى الله وإلى دينه، وقد ذهب ابن كثير رحمه الله إلى وجوب الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل فرد من أفراد الأمة بحسبه.

ووردت في مشروعية الدعوة أحاديث كثيرة منها: -

قوله: **«ادعوا الناس، وبشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا»** (2)

ففي هذا الحديث أمر من رسول الله ﷺ لأصحابه الكرام، ولمن بعدهم إلى قيام الساعة بأن يقوم فرد مسلم بالدعوة إلى الله تعالى، وأن يبشر من يستجيب لهذا الدين، مع استخدام الأسلوب الحسن من التيسير ولا يلجأ إلى التعسير، لأن هذا الأسلوب يبعدهم عن جادة الصواب ويجعلهم يعرضون عن الحق والاستجابة إليه.

وقوله: **«بلغوا عني ولو آية»** (3)

في هذا الحديث أمر من النبي ﷺ لأصحابه رضي الله عنهم ولمن بعدهم بالتبليغ عنه حتى لو لم يكن عند المبلغ إلا آية (4) واحدة فعليه أن يبلغها.

---

(1) تفسير القرآن العظيم 1/390.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه البخاري.

(4) بشرط أن يكون على علم بها.

وقوله ﷺ في خطبة حجة الوداع يوم النحر مخاطبا الجموع الكثيرة من الصحابة الكرام الذين حجوا معه بقوله: **«ليبلغ الشاهد الغائب»** [1]

قال ابن حجر رحمه الله: **«ليبلغ الشاهد» أي: الحاضر في المجلس «الغائب» أي: الغائب عنه.**

والمراد تبليغ القول المذكور أو تبليغ جميع الأحكام» [2] فكل من لم يسمع فهو في حكم الغائب، وعليه يكون كل من علم

علما في الإسلام يحتاج إليه الناس فعليه أن يبلغ هذا العلم إلى كل من لم يعلمه ولم يشهده.

وهكذا فعل الصحابة رضي الله عنهم في دعوتهم للآخرين، والتابعون من بعدهم، فانطلقوا إلى أقاصي الدنيا يبلغون هذا الدين العظيم

فهذا ربعي بن عامر عندما وصل إلى رستم في القادسية سأله: لماذا جئتم إلينا؟!

فرد عليه الصحابي الجليل: **«نحن قوم ابتعثنا الله لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها»** [3]

هكذا قاموا بوظيفة الأنبياء وهي الدعوة إلى الله تعالى.

---

(1) رواه البخاري.

(2) فتح الباري 1/159.

(3) البداية والنهاية 7/40.

ويستفاد مما سبق من الآيات والأحاديث النبوية الصحيحة ضرورة تبليغ دعوة الله تعالى لكل من لم يعرفها، وأنها من أشرف الطاعات الله لأنها وظيفة الأنبياء والرسل، فهل بعد هذا الشرف من شرف، وهل بعد هذه

الوظيفة من وظيفة، فهنيئا لمن قام بها على أكمل وجه.

فضل الدعوة إلى الله -تعالى-

ذكر الله تعالى فضل الدعوة والدعاة في كثير من الآيات، وبين أن الدعوة إلى الله من أحسن الأقوال.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [فصلت:33]

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «**فهذه الآية الكريمة فيها التنويه بالدعاة والثناء عليهم وأنه لا أحد أحسن قولا منهم وعلى رأسهم الرسل عليهم الصلاة والسلام، ثم أتباعهم على حسب مراتبهم في الدعوة والعلم والفضل، فأنت يا عبد الله يكفيك شرف أن تكون من أتباع الرسل ومن المنتظمين في هذه الآية الكريمة**» (1)

فكل من حمل وظيفة الدعوة إلى الله - وفق العقيدة الصحيحة والمنهج السليم - فإنه داخل في هذه الآية. وهذا الفضل لا يتحقق إلا بالعمل الصالح الموافق للسنة.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف:108]

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 1/338.

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «**فبين سبحانه أن الرسول ﷺ يدعو على بصيرة، وأن أتباعه كذلك فهذا فيه فضل الدعوة، وأن أتباع الرسول ﷺ هم الدعاة إلى سبيله على بصيرة، والبصيرة هي العلم بما يدعو إليه وما ينهي عنه، وفي هذا شرف لهم وتفضيل**» (1)

ومن أراد الفلاح في الدنيا والآخرة فعليه بالدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران:104]

فما أعظم هذا الشرف، وما أكبر هذا القدر، أن يتحصل الداعية إلى الله الفلاح في الدنيا والآخرة بسبب دعوته إلى ربه وتبليغه لرسالته.

والدعوة إلى الله تجلب رحمته. قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [التوبة:71]

فهذه من صفات المؤمنين الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، وهذه الصفات الحميدة وغيرها من الصفات التي ذكرت في الآية سبب لرحمة الله لهم. والله تعالى بشر القائمين على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قال تعالى: ﴿ التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدونَ الآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة:112]

---

(1) المصدر السابق 1/339.

قال الإمام الألوسي ﷺ **«وحذف المبشر به إشارة إلى أنه أمر جليل لا يحيط به نطاق البيان»** (1)

والدعوة إلى الله تعالى تنفع صاحبها الضعيف والمريض بأنه يرفع عنه الحرج. قال تعالى: { لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاء وَلاَ عَلَى الْمَرْضَى وَلاَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَاللّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ } [التوبة:91]

والنصح لله تعالى من أقسام الدعوة إلى الله.

قال الإمام الألوسي ﷺ في قوله تعالى: { إِذَا نَصَحُواْ لِلّهِ وَرَسُولِهِ } **بالإيمان والطاعة ظاهرا وباطنا ... وقد يراد بنصحهم المذكور بذل جهدهم لنفع الإسلام والمسلمين بأن يتعهدوا أمورهم وأهلهم وإيصال خيرهم إليهم، ولا يكونوا كالمنافقين الذين يشيعون الأراجيف إذا تخلفوا»** (2) وإذا قام الدعاة والمصلحون بوظيفة الدعوة إلى الله كانوا سببا لرفع العذاب، قال تعالى: { فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ } [هود:116]

فوجود الدعاة المصلحين في كل بلد رحمة على تلك البلد وعلى أهلها، وعلى كل من فيها من حيوان أو طير، ومن هنا تظهر أهمية الدعوة إلى الله تعالى، فهي ترفع البلاء والعذاب والنقمة من الله تعالى وهذا شرف عظيم للدعاة والمصلحين.

---

(1) روح المعاني 32/11.

(2) روح المعاني 158/9.

والدعاة إلى الله أشد الناس خشية الله تعالى، قال تعالى: { الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلاَّ اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا } [الأحزاب:39] وهذا مدح من الله تعالى للمبلغين رسالات الله إلى خلقه ويخافونه ولا يخافون أحد سواه.

والدعاة إلى الله تعالى هم أصحاب الميمنة، قال تعالى: { فَلا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ * فَكُّ رَقَبَةٍ * أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ * يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ * أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ * ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ * أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا هُمْ أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ } [البلد:11-20]

والتواصي بالصبر والتواصي بالمرحمة قسم من أقسام الدعوة إلى الله تعالى، ومن اتصف بهذه الصفات الحميدة كان من أصحاب الميمنة.

والدعاة إلى الله هم الناجون من الهلاك والخسران قال تعالى: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر:3]

والتواصي بالحق والتواصي بالصبر من أقسام الدعوة إلى الله وهي منجاة من الخسران، وهذه الصفات الأربع، الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، من ترك واحدة منها فهو في خسارة سواء في الدنيا أم في الآخرة.

والدعوة إلى الله تعالى تنفع قلوب المؤمنين، قال تعالى: { وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ } [الذاريات:55]

والذكرى صيغة من صيغ الدعوة إلى الله تعالى، حيث إنها تزيد من إيمان العبد فيخشع قلبه وتذرف عينه، فيعود إلى ربه ويخافه ويخشاه، فيعمل بأمره ويجتنب فيه، فمن قام

بتذكير الناس بالله كان سببا في نجاة الكثيرين من عذاب الله، قال تعالى: { فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ الذِّكْرَى * سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَى * وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى } [الأعلى:11]

فكل من في قلبه خشية الله، فالذكرى تنفعه وتزيد من إيمانه.

وفي كلتا الآيتين، بين الله تعالى أهمية التذكير وضرورته لحياة البشرية لمنفعتهم بها، والاستفادة منها في الدنيا والآخرة.

ووصف الله هذه الأمة بأنها خير الأمم إذا قامت بواجبها المنوط بها قال تعالى: {كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ } [آل عمران:110]

فإذا قامت هذه الأمة بهذه الصفات الثلاث، فلا بد أن تكون هي القائدة المعززة المكرمة التي تصلح لقيادة الأمم.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يقوى الإيمان في القلب ويزيده، وبتركه يضعف الإيمان حتى يكاد يختفي وينعدم من القلب لقوله ﷺ: **«من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»** (1) وفي رواية أخرى: **«وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان»** (2)

هذه بعض الآيات التي وردت في فضل الدعوة والدعاة إلى الله، وورد كذلك في السنة ما يبين فضل الدعوة إلى الله تعالى مثل:

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

قوله ﷺ: «**نضر الله امرءا سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع**» (1)

ففي الحديث منقبة لكل من يبلغ الدين إلى غيره، ودعوة من النبي ﷺ بالنضرة والحسن والبهاء من الله تعالى، وهذا الدعاء لمن بلغ العلم كما سمعه دون زيادة أو نقصان، وهذا واضح في قوله: «**فبلغه كما سمعه**»، وقوله ﷺ: «**من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئا**» (2)

في هذا الحديث بين النبي ﷺ فضل الدعوة وأن هذا الأجر والثواب دائم ومتصل لا ينقطع، فالداعية يتحصل ثواب كل من دعاهم إلى الله لا ينقص من أجورهم شيء، ففي يوم القيامة يجد الإنسان الداعي إلى الله في صحيفته أعمالا لم يعملها في الدنيا بنفسه، وإنما عملها أناس استجابو الدعوته في الدنيا، وهذا كرم من الله تعالى، وهذه بشرى من رسول الله ﷺ القائل: «**إن الدال على الخير كفاعله**» (3)

قال شيخنا ابن باز رحمه الله: «**وهذا يدلنا على فضل الدعوة إلى الله، وما فيها من الخير العظيم، وأن الداعي إلى الله جل وعلا يعطى مثل أجور من هداه الله على يديه ولو كانوا آلاف**

---

(1) رواه الإمام أحمد والترمذي والحديث صحيح انظر صحيح الجامع 6764.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه مسلم.

الملايين، وتعطى أيها الداعية مثل أجورهم، فهنيئا لك أيها الداعية إلى الله بهذا الخير العظيم» (1)

وقوله ﷺ لعلي بن أبي طالب: **«فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم»** (2)

حمر النعم: هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء وأنه ليس هناك أعظم منه» (3)

والدعوة إلى الله تعالى تنفع صاحبها بعد موته لقوله ﷺ: **«إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»** (4)

والعلم الذي ينتفع به يدخل في عموم الدعوة إلى هدى سواء أكان في كتاب مسطور تتوارثه الأجيال بالانتفاع به ولاسيما طلاب العلم الذين يقرؤون الكتب النافعة الداعية إلى هدى، أم شريط فيه المواعظ والنصائح والإرشاد، كل هذه الوسائل تدخل في العلم النافع الذي ينفع صاحبه بعد موته.

---

(1) مجموع فتاوى ومقات متنوعة 1/339-340.

(2) متفق عليه.

(3) شرح مسلم للنووي.

(4) متفق عليه.

حكم الدعوة إلى اللّه -تعالى-

أوجب الله تعالى أن يكون في هذه الأمة من يقوم بالدعوة إلى الله، فيرشـــد الناس إلى الخير ويأمرهم به، ويحذرهم من الشر وينهاهم عنه.

قال تعالى: { وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ } [آل عمران:104]

فمن هذه الآية اتفق العلماء على وجوب الدعوة، واختلفوا في نوعية الوجوب، هل هو على التعيين أم على الكفاية؟

فالذين قالوا بالوجوب العيني، قالوا بأن لفظة «من» في الآية هي للبيان والتبيين، وليست للتبعيض، فيكون الخطاب بالدعوة إلى جميع المكلفين فتكون الدعوة واجبة على كل فرد مسلم بقدر استطاعته [(1)]

وفي قوله: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان» [(2)]

فقالوا إن «من» من ألفاظ العموم فيعم الحكم [(3)]

أما الذين قالوا بالوجوب الكفائي، فقالوا بأن لفظة «من» هي للتبعيض.

على كل فإن الجميع اتفق على أصل الوجوب.

---

(1) راجع تفسير ابن كثير 2/195-196، وتفسير القرطبي 4/165.

(2) رواه مسلم.

(3) المدخل إلى علم الدعوة ص 32.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وهذا الواجب واجب على مجموع الأمة، وهو الذي يسميه العلماء فرض كفاية إذا قام به طائفة منهم سقط عن الباقين، فالأمة كلها مخاطبة بفعل ذلك ولكن إذا قامت به طائفة سقط عن الباقين»[1]

وقال شيخنا ابن باز ﵀: «وصرح العلماء أن الدعوة إلى الله ﷻ فرض كفاية، بالنسبة إلى الأقطار التي يقوم فيها الدعاة، فإن كل قطر، وكل إقليم يحتاج إلى الدعوة، وإلى النشاط فيها، فهي فرض كفاية إذا قام بها من يكفي سقط عن الباقين ذلك الواجب، وصارت الدعوة في حق الباقين سنة مؤكدة، وعملا صالحا جليلا.

وإذا لم يقم أهل الإقليم، أو أهل القطر المعين بالدعوة على التمام، صار الإثم عاما، وصار الواجب على الجميع، وعلى كل إنسان أن يقوم بالدعوة حسب طاقته وإمكانه. أما بالنظر إلى عموم البلاد فالواجب أن يوجد طائفة منتصبة تقوم بالدعوة إلى الله ﷻ في أرجاء المعمورة تبلغ رسالات الله، وتبين أمر الله ﷻ بالطرق الممكنة، فإن الرسول ﷺ قد بعث الدعاة، وأرسل الكتب إلى الناس، وإلى الملوك والرؤساء ودعاهم إلى الله ﷻ»[2]

وقال ﵀: «وبهذا يعلم أن كونها فرض عين، وكونها فرض كفاية، أمر نسبي يختلف، فقد تكون الدعوة فرض عين بالنسبة إلى أقوام وإلى أشخاص، وسنة بالنسبة إلى أشخاص وإلى أقوام، لأنه وجد في محلهم وفي مكانهم من قام بالأمر وكفى عنهم.

---

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 15/165.

(2) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 1/334-335.

أما بالنسـبة إلى ولاة الأمور، ومن لهم القدرة الواسـعة، فعليهم من الواجب أكثر، وعليهم أن يبلغوا الدعوة إلى ما استطاعوا من الأقطار، حسب الإمكان بالطرق الممكنة، وباللغات الحية التي ينطق بها الناس، يجب أن يبلغوا أمر الله بتلك اللغات حتى يصـل دين الله إلى كل أحد باللغة التي يعرفها، باللغة العربية وبغيرها ... و نظرا إلى انتشـار الدعوة إلى المبادئ الهدامة وإلى الإلحاد وإنكار رب العباد، وإنكار الرسـالات، وإنكار الآخرة، وانتشـار الدعوة النصرـانية في الكثير من البلدان وغير ذلك من الدعوات المضـللة، نظرا إلى هذا فإن الدعوة إلى الله ﷻ اليوم أصـبحت فرضـا عاما، وواجب على جميع العلماء، وعلى جميع الحكام الذين يدينون بالإسلام، فرض عليهم أن يبلغوا دين الله حسب الطاقة والإمكان بالكتابة والخطابة وبالإذاعة وبكل وسيلة استطاعوا، وأن لا يتقاعسوا عن ذلك أو يتكلوا على زيد أو عمرو، فإن الحاجة بل الضرورة ماسة اليوم إلى التعاون والاشـتراك، والتكاتف في هذا الأمر العظيم أكثر مما كان قبل، ذلك لأن أعداء الله قد تكاتفوا وتعاونوا بكل وسـيلة للصـد عن سـبيل الله والتشـكيك في دينه، ودعوة الناس إلى ما يخرجهم من دين الله ﷻ، فوجب على أهل الإسـلام أن يقابلوا هذا النشـاط الملحد بنشاط إسلامي وبدعوة إسلامية على شتى المستويات، وبجميع الوسائل وبجميع الطرق الممكنة، وهذا من باب أداء ما أوجب الله على عباده من الدعوة إلى سبيله» (1)

هذا بالإضـافة إلى ما انتشرـ في ديار الإسـلام من بدع وخرافات وأحزاب، وبعض الشرـكيات. هذه المخالفات الخطيرة لا بد أن يتصـدى لها الدعاة إلى الله، لطمس هذه

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 1/ 336- 337.

المخالفات والرد على دعاما، ورد شـبهاتهم، وإنقاذ الناس منها كل طاقته ووسـعه، فإن فعلوا ذلـك نحوا ونجا المجتمع، وإن تركوا ذلـك جميع أنوا، وبقدر التقصـير في ذلـك يحل البلاء، ويستشري الداء.

وقال شيخنا ابن عثيمين ﵀: «**أما حكم تارك الدعوة وهو يقدر عليها فإن الدعوة إلى الله فرض كفاية إذا قام بها من يكفي، سـقط عن الباقين، فإن رأيت شـخصـا منحرفا وليس حولـك من يـدعوه صـار الآن فرض عين عليـك، لأن العلماء يقولون في فرض الكفاية: إنه إذا لم يوجد سوى هذا الرجل تعين عليه**» [1]

وهذا يختلف من مكان إلى مكان، ومن عصر إلى عصر على حسب حال الناس وحاجتها إلى تصحيح عقيدها ومنهاجها وسلوكها وأخلاقها، فمن الدعاة من يعيش في بلد يغلب عليه الخرافات والبدع، وآخر يعيش في بلد عليه الشرك، فهنا وجب على كل داعية أن يقوم بما هو واجب عليه في بلده الذي يعيش فيه كل على حسب طاقته ووسعه

{ لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا } [البقرة:286]

وسائل الدعوة توقيفية

الدعوة لها وسائل وغايات، وحتى تتحقق هذه الغايات، لا بد من استخدام الوسائل المشروعة. والدعاة إلى الله أولى الناس باستخدام الوسائل المشروعة التي تقربهم إلى الله تعالى.

---

(1) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ص92.

ووسائل الدعوة هي: «ما يتوصل به الداعية إلى تطبيق مناهج الدعوة من أمور معنوية أو مادية» (1)

والوسائل المعنوية: ما يتصف به الداعية من مكارم الأخلاق وحسن الآداب والألفاظ التي تعينه على تحقيق غايته.

أما الوسائل المادية: فهي الأمور المحسوسة أو الملموسة كالأعمال والأدوات والأقوال والحركات.

فلا تتحقق الغايات المشروعة إلا بالوسائل المشروعة، ومن ظن أن الغايات المشروعة تتحقق بأية وسيلة سواء أكانت شرعية أم غير شرعية، فقد أخطأ ووقع فيما ذهب إليه ميكافلي اليهودي «الغاية تبرر الوسيلة».

وللأسف الشديد أن بعض الدعاة استخدموا وسائل غير شرعية في دعوتهم فضلوا وأضلوا غيرهم، وضيعوا أوقاتهم بدون فائدة. والله تبارك وتعالى بين لنا الوسائل والغايات في قوله:

{ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } [المائدة:3]

وذكر لنا النبي ﷺ رسم الفرقة الناجية بقوله: «**ما أنا عليه وأصحابي**» (2)

قال الشيخ العلامة عبد الله عبد الرحمن أبا بطين رحمه الله في رد بعض المحدثات: «فلو كان خيرا يحبه الله لسبقنا إليه أصحاب محمد ﷺ فاهم كفوا من بعدهم، كما قالوا: «**اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم**» فإنهم رضي الله عنهم بالخير أعلم، وعليه أحرص.

---

(1) المدخل إلى علم الدعوة ص 282.

(2) رواه الترمذي والحديث حسن.

فمن ابتدع شيئا يتقرب به إلى الله ولم يجعله الله ورسوله ﷺ قربة: فقد شرع في الدين ما لم يأذن به الله ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاء شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:21]

واستدرك على أصحاب محمد ﷺ بأنهم لم يعلموا ما علمه، أو أنهم لم يعملوا بما علموا، فلزمه استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، أو تقصيرهم في العمل.

فهم رضي الله عنهم قد كفوا من بعدهم، والخير في الاتباع والشر في الابتداع» [1]

والنبي ﷺ بين لأمته وسائل الدعوة بقوله: «**ما بعث الله نبيا إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم**»[2]

فهل يقول أحد أن النبي ﷺ غفل هذه الوسائل التي يستخدمها بعض دعاة الحزبية - حاشاه – من النشيد والتمثيل والتصوير، وهو القائل ﷺ: «**قد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك**» [3]

ويقول الشيخ عبد السلام برجس [4]: «**إذا تقرر هذا فإننا نقطع بأن النبي بين لأمته وسائل الدعوة سواء بالقول أو بالفعل أو بهما، إذ كيف يبين ﷺ آداب قضاء الحاجة ونحو ذلك، ويدع وسائل الدعوة التي لا قيام للإسلام إلا بها؟**

---

(1) الدرر السنية 7/50.

(2) رواه مسلم.

(3) رواه ابن ماجه وأحمد وصححه شيخنا الألباني انظر السلسلة الصحيحة 936.

(4) الحجج القوية علي أن وسائل الدعوة توقيفية ص 48 - 44.

وبما أنه عليه الصلاة والسلام قد بين ذلك، فإن بيانه ﷺ هو الطريقة الشرعية التي يرشد كا الغاوي، ويهدى به التائه .

وهي الطريقة التي أخرج بها النبي ﷺ الناس من الظلمات إلى النور، وهداهم بها إلى التي هي أقوم، وسلكها من بعده صحابته الكرام، وتابعوهم بإحسان، واشتد نكيرهم على من خالفها من الدعاة، وأحدث فيها.

فليس من سبيل إلى إيجاد مجتمع كمجتمعهم إلا بهذه الوسائل الشرعية، والطرق السلفية، كما قال الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها».

فالزيادة عليها: زيادة في الشرع، وخروج عن سبيل المؤمنين، وقد قال النبي ﷺ: **«من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد»** (1)

وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عن رجل جعل السماع طريقة لدعوة الناس وتتوييهم وهذا نص السؤال والجواب:

سئل رحمه الله عن جماعة يجتمعون على قصد الكبائر من قتل وقطع الطريق والسرقة وشرب الخمر وغير ذلك، ثم إن شيخا من المشايخ المعروفين بالخير واتباع السنة قصد منع المذكورين من ذلك، فلم يمكنه إلا أن يقيم لهم سماعا يجتمعون فيه هذه النية، وهو بدف بلا صلاصل، وغناء، المغني بشعر مباح بغير شبابة، فلما فعل هذا تاب منهم جماعة، وأصبح من لا يصلي ويسرق ولا يزكي يتورع من الشبهات ويؤدي المفروضات

(1) متفق عليه.

ويجتنب المحرمات، فهل يباح فعل هذا السماع هذا الشيخ على هذا الوجه لما يترتب عليه من المصالح؟ مع أنه لا يمكنه دعوتم إلا بهذا !!

فأجاب رحمه الله:«**الحمد لله رب العالمين، إن الله بعث محمدا لا بالهدى ودين الحق... وأنه أكمل له ولأمته الدين، ... وأمر الخلق أن يردوا ما تنازعوا فيه من دينهم إلى ما بعثه به، ... فمن اعتصم بالكتاب والسنة كان من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين، وجنده الغالبين، وكان السلف كمالك وغيره يقولون: السنة كسفينة نوح، من ركبها نجا، ومن تخلف عنه غرق، ...، إذا عرفت هذا، فمعلوم أن ما يهدي به الله الضالين، ويرشد به الغاوين، ويتوب على العاصين، لا بد أن يكون فيما بعث الله به رسوله ﷺ من الكتاب والسنة، ... وإذا تبين هذا القول للسائل إن الشيخ المذكور قصد أن يتوب المجتمعون على الكبائر، فلم يمكنه ذلك إلا بما ذكره من الطريق البدعي، بدل أن الشيخ جاهل بالطرق الشرعية التي بها تتوب العصاة، أو عاجز عنها، فإن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين كانوا يدعون من هو شر من هؤلاء من أهل الكفر، والفسوق والعصيان، بالطرق الشرعية التي أغناهم الله بها عن الطرق البدعية**» (1)

ويقول الشيخ علي الحلبي – حفظه الله -: «**والوسائل للدعوة هي في عصرنا وفيما قبله وبعده لا بد أن تكون هي وسائل الدعوة التي بعث بها النبي ﷺ، وبلغ فيها الغاية، ولا تختلف في عصرنا مثلا إلا في جوانب منها مرتبطة بأصولها التوقيفية، لكن هذا التغيير مأسور بمضمار الشرع، موزون بمقاييس الكتاب والسنة، فمتي اختل شيء منه، وجب**

(1) باختصار من مجموع الفتاوى 11/620-624.

إبعاده، والبراءة منه...وهذه قضية مهمة جدا، تشكل تفاصيلها على كثير من الدعاة، فالواجب الدقة فيها، وعدم الخلط بين معانيها، لا أن تكون محبة للمصالح والأهواء، والاستحسانات والآراء، والتجارب والأذواق!! » (1)

ويقول شيخنا ابن باز رحمه الله: **«ومن المعلوم أن هذه العوامل قام بها نبينا محمد ﷺ في مكة أولا ثم في المدينة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي صلح ما أولها، كما قال أهل العلم والإيمان ومن جملتهم الإمام مالك بن أنس قال هذه المقالة، وتلقاها أهل العلم في زمانه وبعده، ووافقوه عليها جميعا: لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها.**

والمعنى: أن الذي صلح به أولها، وهو اتباع كتاب الله وسنة رسوله ﷺ هو الذي يصلح به آخرها إلى يوم القيامة.

ومن أراد صلاح المجتمع الإسلامي، أو صلاح المجتمعات الأخرى في هذه الدنيا بغير الطريق والوسائل والعوامل التي صلح ما الأولون فقد غلط، وقال غير الحق فليس إلى غير هذا من سبيل، وإنما السبيل إلى إصلاح الناس وإقامتهم على الطريق السوي، هو السبيل الذي درج عليه نبينا محمد ﷺ ودرج عليه صحابته الكرام، ثم أتباعهم بإحسان إلى يومنا هذا» (2)

من هذه الآيات والأحاديث، وأقوال أهل العلم يظهر لنا جليا أن وسائل الدعوة توقيفية، فلا ينبغي للداعي إلى الله العدول عن الوسائل الشرعية إلى الوسائل البدعية

---

(1) الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ص 27-48.

(2) مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز بن باز 1/2489.

بحجة تجميع الناس ودعوتهم، فالرسول ﷺ دعا للإسلام ونشره بالدعوة المباشرة كخطب الجمعة والعيدين والمواعظ والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وباللسان والقلب والنصيحة والفتوى، والجهاد بالنفس والمال والقوة إلى غير ذلك من الوسائل النافعة للدعوة، فحقيقة الدعوة «**الغاية**» توقيفية لا مجال للاجتهاد فيها، والذي شرع هذه الغاية هو الذي شرع الوسيلة لتحقيق هذه الغاية فلا داعي لإحداث وسائل بدعية ما أنزل الله ما من سلطان. (1)

الوسائل البدعية

استحسن بعض الدعاة في هذا العصر وسائل دعوية ما أنزل الله بها من سلطان ظنا منهم أن هذه الوسائل نافعة لدعوة الناس للإسلام منها: -

1. ما يسمى بالنشيد الإسلامي

هذا النشيد أحدثته الزنادقة وهو وسيلة صوفية لصد الناس عن القرآن وقد أنكره العلماء قال الشافعي رحمه الله: «**تركت بالعراق شيئا يقال له: التغبير أحدثته الزنادقة يصدون به الناس عن القرآن**» (2)

وسئل عنه أحمد فقال: بدعة.

وفي رواية: أنكره ونهى عن استعماله.

---

(1) يخرج من هذه الوسائل البدعية (الشريط الإسلامي، وطباعة الكتب، ومكبرات الصوت فإما وسائل مشروعة)

(2) أبو نعيم في الحلية 9/146 والخلال في الأمر بالمعروف ص 36 وسنده صحيح.

وقال: «**إذا رأيت إنسانا منهم في طريق فخذ من طريق أخرى**» (1)

«التغبير: شعر يزهد في الدنيا، يغني به معن فيضرب بعض الحاضرين بقضيب على نطع أو مخدة على توقيع غنائه كما قال ابن القيم وغيره.

وقال ابن تيمية رحمه الله: «**وما ذكره الشافعي من أنه من إحداث الزنادقة فهو كلام إمام خبير بأصول الإسلام، فإن هذا السماع لم يرغب فيه، ويد إليه في الأصل إلا من هو متهم بالزندقة كابن الراوندي، والفارابي، وابن سينا وأمثالهم.**

كما ذكر أبو عبد الرحمن السلمي في مسألة السماع» (2)

وقال شيخ الإسلام أيضا: «**وقد عرف بالاضطرار من دين الإسلام أن النبي ﷺ لم يشرع لصالح أمته وعباده وزهادهم أن يجتمعوا على استماع الأبيات الملحنة، مع ضرب بالكف أو ضرب بالقضيب أو الدف.**

كما لم يبح لأحد أن يخرج عن متابعته واتباع ما جاء من الكتاب والحكمة، لا في باطن الأمر، ولا في ظاهره ولا لعامي ولا لخاصي»

ثم قال شيخ الإسلام: «**ومن كان له خبرة بحقائق الدين وأحوال القلوب ومعارفها وأذواقها ومواجيدها، عرف أن سماع المكاء والتصدية لا يجلب للقلوب منفعة ولا مصلحة إلا وفي ضمن ذلك من الضرر والمفسدة ما هو أعظم منه ...**» (3)

---

(1) رواه الخلال أيضا والزيادة من مسألة السماع لابن القيم ص 124.

(2) مجموع الفتاوى 11/570.

(3) مجموع الفتاوى 11/573-576.

وقد أفتى جمع من أهل العلم بعدم جواز هذه الأناشيد ومنهم: -

المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

وقال فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني في محاضرة له مسجلة في شريط بعنوان «**حكم الأناشيد الإسلامية**» ...... العالم الإسلامي فعلا استيقظ من غفلته ومن نومته العميقة الطويلة أخذ يعود إلى الإسلام، رويدا رويدا، وانتبه أصحاب المصالح بأن هناك أحكاما تخالف الشريعة فأخذوا يبررونها ويلونوها ومن ذلك يسمونها بغير اسمها، فيجب أن نتنبه لهذه الحقيقة، من تغيير الحقائق بتغيير الأسماء، منها الأناشيد الإسلامية.

لا يوجد في الإسلام طيلة أربعة عشر قرنا، أناشيد تسمى بالأناشيد الإسلامية.

هذا من مخترعات العصر الحاضر، تسليك لما كان سالكا في طيلة القرون الماضية، ولكن مع إنكار طائفة من كبار العلماء لذلك الأمر السالك، وهو أغاني الصوفية في مجالسهم التي يسموها بمجالس الذكر...

أيضا هذا من باب تسمية الشيء بنقيضه فهي مجالس الرقص وليس مجالس الذكر، ومجالس الغناء وليس مجالس تلاوة القرآن أو الصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام، فيسموها بغير اسمها.

الآن حلت هذه الأناشيد محل تلك الأغاني التي كان يتغنى بها الصوفية، وكانوا يجدون محاربة شديدة من أهل العلم، وظهرت هذه المحاربة وقويت في العصر الحاضر حتى كاد صوت الصوفية يموت ولا تسمع له ركزا.

فخرجوا هذه الحيلة، تركوا الأناشيد القديمة التي كان يتغين هما الصوفية في مجالسهم وفي مراقصهم، وجاءوا بالبديل، وهو أغاني عصرية فيها أشياء يأباها الإسلام[1]

فضيلة الشيخ محمد صالح العثيمين رحمه الله

سئل فضيلته: هل يجوز للداعية الاستماع إلي الأناشيد الإسلامية؟

فأجاب: «**الأناشيد الإسلامية كنت سمعتها من قلم وليس فيها شيء ينفر، وسمعتها أخيرا فوجدت أنها ملحنة مطربة على سبيل الأغاني المصحوبة بالموسيقى، وهي على هذا الوجه لا أرى للإنسان أن يستمع إليها.**

أما إذا جاءت عفوية بدون تطريب ولا تلحين، فإن الاستماع إليها لا بأس به، ولكن بشرط ألا يجعلها الإنسان ديدن يستمع إليها دائما [2]

وشرط آخر ألا يجعل قلبه لا ينتفع إلا بها، ولا يتعظ إلا بها. لأن كونه يجعلها ديدنا فإنه يترك ما هو أهم، وكونه لا يتعظ ولا ينتفع إلا بها يعدل به عن أعظم موعظة وهي ما جاءت في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فإذا استمع إليها أحيانا أو أنه كان يقود سيارته في البر، وأراد أن يستعين بذلك على المشي والسير فهذا لا بأس به» [3]

فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -

---

(1) القول المفيد في حكم الأناشيد ص 31-32.

(2) حق إن بعض من يتخذ هذه الأناشيد ديدنه فتسوها في البيوت والسيارات والأغاني والرحلات.

(3) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ص 123.

سئل فضيلته: كثر الحديث عن الأناشيد الإسلامية، وهناك من أفتى بجوازها وهناك من قال إنها بديل للأشرطة الغنائية فما رأي فضيلتكم؟

فأجاب: «**هذا التسمية غير صحيحة، وهي تسمية حادثة فليس هناك ما يسمى بالأناشيد الإسلامية في كتب السلف، ومن يعتد بقولهم من أهل العلم، والمعروف أن الصوفية هم الذين يتخذون الأناشيد دينا لهم، وهو ما يسمونه بالسماع، وفي وقتنا لما كثرت الأحزاب والجماعات.**

صار لكل حزب أو جماعة أناشيد حماسية قد يسمونها بالأناشيد الإسلامية، هذه التسمية لا صحة لها، وعليه فلا يجوز اتخاذ هذه الأناشيد وترويجها بين الناس، وبالله التوفيق» (1)

وقال أيضا: «**ومما ينبغي التنبيه عليه: ما كثر تداوله بين الشباب المتدينين من أشرطة مسجلة عليها أناشيد بأصوات جماعية يسمونها الأناشيد الإسلامية، وهي نوع من الأغاني وربما يكون بأصوات فاتنة، وتباع في معارض التسجيلات مع أشرطة تسجيل القرآن الكريم والمحاضرات الدينية.**

وتسمية هذه الأناشيد بأنها «أناشيد إسلامية» تسمية خاطئة، لأن الإسلام لم يشرع لنا الأناشيد، وإنما شرع لنا ذكر الله وتلاوة القرآن وتعلم العلم النافع أما الأناشيد فهي من دين الصوفية المبتدعة، الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، واتخاذ الأناشيد من الدين فيه تشبه بالنصارى، الذين جعلوا دينهم بالترانيم الجماعية والنغمات المطربة، فالواجب الحذر من

---

(1) مجلة الدعوة العدد1632 / 7 ذو القعدة 1418هـ الموافق 5 / مارس 1998م.

هذه الأناشيد ومنع بيعها وتداولها، علاوة على ما قد تشتمل عليه هذه الأناشيد من تهييج الفتنة بالحماس المتهور والتحريش بين المسلمين» [1]

فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي - حفظه الله -

قال حفظه الله تعالى:

«الملاحظة التاسعة عشرة:

الإكثار من الأناشيد ليل نهار، وتنغيمهم لها، أي تلحينهم لها، وأنا لا أحرم سماع الشعر، فقد سمعه النبي ﷺ ولكن هؤلاء ينهجون في هذه الأناشيد مذهب الصوفية في غنائهم الذي يثير الوجد على ما يزعمون، وقد ذكر ابن الجوزي في كتابة «نقد العلم والعلماء ص 230» عن الشافعي أنه قال: خلفت بالعراق شيئا أحدثته الزنادقة، يشغلون به الناس عن القرآن يسمونه التغيير، قال المصنف ﵀ يعني ابن الجوزي: وذكر أبو منصور الأزهري: المغيرة: قوم يغيرون بذكر الله بدعاء وتضرع، وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر ذكر الله ﷻ تغييرا كأنهم إذا شاهدوها بالألحان طربوا ورقصوا فسموا مغيرة بهذا المعني.

وقال الزجاج: سموا مغيرين لتزهيدهم الناس في الفاني من الدنيا بالغناء، ويرغبوهم في الآخرة.

---

(1) كتاب الخطب المنبرية 3/184-185.

قلت [1]: عجيب أمر الصوفية يزعمون أنهم يزهدون الناس في الدنيا بالغناء، فهل الغناء يكون سببا في الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة أم العكس هو الحقيقة، أنا لا أشك، ولا يشك أحد عقل عن الله ورسوله ﷺ أن الغناء لا يكون إلا مرغبا في الدنيا مزهد في الآخرة، ومفسدة للأخلاق مع العلم أنهم إذا قصدوا به الترغيب في الآخرة فهو عبادة، والعبادة إن لم يشرعها رسول الله ﷺ فهي بدعة محدثة، ولهذا نقول إن الأناشيد بدعة» [2]

قال أيضا عن حكم الأناشيد: فنحن نقول: «إن الشعر غير المبتذل، والذي يكون فيه تشجيع على الجهاد، وإغراء بالفضائل، وإشارة بالفضلاء أو منع من الرذائل، وتنقص لأصحابها، والذي لا ينتهك فيه عرض المسلم بغير حق، ولا يكون فيه إطراء بغير حق هذا النوع من الشعر كان يقال عند النبي ﷺ فيسمعه، وقد سمعه في مسجده، لذلك فنحن نقول: إذا كان شعر الأناشيد من هذا القبيل، وغناه شخص واحد، وكان ذلك في بعض المناسبات غير مستكثر منه، ولا منشغل به عما هو أهم، فلا مانع، أما إن اتخذ ديدنا، ولحنه ملحن، وتابعته فرقة، فقالوا بصوت جماعي فهذا فيه ثلاث بدع.

الأولى: بدعة التلحين: وهو تكسير الصوت على نغمة موسيقية.

الثانية: بدعة الاجتماع على إنشاده، لأن السلف لم يكن عندهم هذا.

---

(1) أي الشيخ أحمد بن يحيى النجمي.

(2) المورد العذب الزلال ص 146.

الثالثة: أننا لا نعلم أحدا يدين الله تعالى بالغناء إلا الصوفية، وإني أخشى إن طال الزمان بعد ذلك أن يتخذوا الغناء عبادة. وقد بدأ الصوفية الغناء بتلحين أشعار الزهد، والتشويق إلى الجنة، ثم أضافوا إليه الطقطقة

قال الشافعي ﷺ: «**خلفت بالعراق شيئا أحدثته الزنادقة يسمونه التغيير يشغلون به الناس عن القرآن**» انتهي، قال ابن الجوزي بعد أن نقل عن الشافعي ما سبق، وقد ذكر أبو منصور الأزهري، المغيرة، وهم قوم يغيرون بذكر الله بدعاء، وتضرع، وقد سموا ما يطربون فيه من الشعر في ذكر الله ﷻ تغييرا» انتهي.

وقال الزجاج: «**سموا مغيرين بتزهيدهم للناس في الفاني وترغيبهم في الآخرة**» انتهى

وروى أبو الحارث عن الإمام أحمد أنه قال: «**التغيير بدعة**» فقيل له: إنه يرقق القلب، فقال: «**إنه بدعة**» انتهى.

وروي عنه يعقوب الهاشمي: «**التغيير بدعة محدثة**» انتهى

وروي عنه يعقوب بن بختان: «**أكره التغيير**» انتهى وأنه في عن استماعه.

وروى عنه إسماعيل بن إسحق الثقفي أنه سئل عن استماع القصائد

فقال: «**أكرهه هو بدعة ولا يجالسون**».

انتهي من المنتقى النفيس من تلبيس إبليس لابن الجوزي ص 298 وما بعدها...

إذا علم هذا، فإني أخشى إن طال بالناس الزمان أن ينقلهم الشيطان إلى اتخاذه عبادة، وأن يخلطه لهم بغيره من المحرمات، كالضرب، والرقص كما فعل ذلك مع الصوفية، أعاذنا الله تعالى مما ابتلاهم به، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه» (1)

قلت: الذي كان يخشى منه الشيخ - حفظه الله – وقع فيه هؤلاء الذين ينشرون هذه الأناشيد من إدخال بعض آلات اللهو وهو ما يسمي بالدرامز)، و (الطبل) بل البعض منهم انشغلوا بالنشيد عن قراءة القرآن، وأصبحت هناك فرق جماعية معروفة بالأناشيد وهي ما تسمي «**بالفرق الإسلامية**» التي تشارك في مناسبات الأفراح التي تسمى «فرح إسلامي» فإلى الله المشتكى.

فضيلة الشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله -

قال حفظه الله تعالى في تعليقه على الفتوى الحموية الكبرى ص 128بعد بيان أقسام الشعر وما يجوز منه وما لا يجوز:

قال: «**أما سماع الألحان المطربة والقصائد الزهديات فهذا هو الذي كان يسمى في العصر الأول بالتغبير كان بنوع ضرب على الجلود، وفيه إنشاد للقصائد الزهدية، استعمله طائفة من الصوفية من أجل شغل الناس بالقصائد التي تحض على الدار الآخرة، وتزهد في الدنيا عن الغناء والفجور وأشباه ذلك.**

والعلماء أنكروا التغبير وأنكروا سماع القصائد الملحنة يعني بألحان مبتدعة، الألحان التي يستخدمها أهل التصوف بما يشبه الغناء، ورأوا ذلك من البدع المحدثة، ووجه كون

(1) الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية ص 37.

ذلك بدعة ظاهرة، لأنه يقصد بذلك التقرب إلى الله، ومعلوم أن التقرب إلى الله لا يكون إلا بما شرع، وهذه القصائد على هذا النحو الذي كان يلقي في الماضي، ويلقيه المتصوفة في الحاضر هذا مبتدع محدث لا يجوز ترقيق القلوب به» (1)

فضيلة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ - حفظه الله -

سئل فضيلته: ما حكم التصفيق للنساء في الأعراس عندما يصاحبها إنشاد الأناشيد الإسلامية؟

فأجاب - حفظه الله -: **«أولا ما يسمى بالأناشيد الإسلامية واستعماله في حفلات الزواج هذا غير مشروع، فإن الإسلام دين جد وعمل، وما يسمى بالأناشيد الإسلامية هذا استعمال للأذكار في غير محلها، ولا ينبغي للناس أن يستعملوا ما يسمى بالأناشيد الإسلامية لأن فيها أشياء من ذكر الله في هذا الحفل وما يصاحبها من تصفيق ونحو ذلك، فإن هذه الأناشيد والتصفيق وما يصاحبها، هذه من أخلاق الصوفية، والله ﷻ قد قال عن المشركين:** { وَمَا كَانَ صَلاَتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلاَّ مُكَاء وَتَصْدِيَةً } [الأنفال:35]

. فالتصفيق مع هذه الأناشيد الإسلامية غير مشروع، لأنها عبارة عن غناء لكنه منسوب إلى الإسلام ولا يصح هذا» (2)

فضيلة الشيخ حمود التويجري رحمه الله

(1) مفرغ من الأشرطة بواسطة القول المفيد في حكم الأناشيد ص 44.

(2) مجلة الدعوة العدد 1706 وتاريخ 15/5/1420 هـ.

قال ﷺ: «إن بعض الأناشيد، التي يفعلها كثير من الطلاب في الحفلات والمراكز الصيفية ويسمونها بالأناشيد الإسلامية، ليست من أمور الإسلام، لأنها قد مزجت بالتغبير والتلحين والتطريب الذي يستفز المنشدين والسامعين ويدعوهم إلى الطرب ويصدهم عن ذكر الله وتلاوة القرآن وتدبر آياته والتذكر بما جاء فيه من الوعد والوعيد وأخبار الأنبياء مع أممهم، وغير ذلك من العلوم النافعة لمن تدبرها حق التدبر وعمل بما جاء فيها من الأوامر، واجتنب ما فيها من المنهيات، وأراد بعلمه وأعماله وجه الله ﷻ»[1]

وقال أيضا: «ومن قاسم الأناشيد الملحنة بألحان الغناء على رجز الصحابة ﷺ حين كانوا يبنون المسجد النبوي، وحين كانوا يحفرون الخندق، أو قاسها على الحداء الذي كان الصحابة ﷺ يستحثون به الإبل في السفر فقياسه فاسد.

لأن الصحابة ﷺ لم يكونوا يتغنون بالأشعار ويستعملون فيها الألحان المطربة التي تستفز المنشدين والسامعين كما يفعل ذلك الطلاب في الحفلات والمراكز الصيفية، وإنما كان الصحابة ﷺ يقتصرون على مجرد الإنشاد للشعر مع رفع الصوت بذلك ولم يذكر عنهم أنهم يجتمعون على الإنشاد بصوت واحد كما يفعله الطلاب في زماننا.

والخير كل الخير في اتباع ما كان عليه الرسول ﷺ والصحابة ﷺ، والشر كل الشر في مخالفتهم والأخذ بالمحدثات التي ليست من هديهم، ولم تكن معروفة في زمانهم وإنما هي من بدع الصوفية الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا، فقد ذكر عنهم أنهم كانوا يجتمعون على

(1) إقامة الدليل على المنع من الأناشيد الملكية والتمثيل ص 6.

مثل ذلك في ما يسمونه بالأذكار وهو في الحقيقة من الاستهزاء بالله وذكره، ومن كانت الصوفية الضالة سلفا لهم وقدوة فبئسما اختاروا لأنفسهم» (1)

وقال أيضا: «وليعلم أن تسمية الأناشيد الملحنة بألحان الغناء باسم الأناشيد الإسلامية يلزم عليها لوازم سيئة جدا وخطيرة.

منها: جعل هذه البدعة من أمور الإسلام ومكملاته، وهذا يتضمن الاستدراك على الشريعة الإسلامية، ويتضمن القول بأنها لم تكن كاملة في عهد النبي ﷺ.

ومنها: معارضة قوله تعالى: { الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا } [المائدة:3]

وفي هذه الآية الكريمة النص على إكمال الدين لهذه الأمة، والقول بأن الأناشيد الملحنة أناشيد إسلامية يتضمن معارضة هذا النص وذلك بإضافة الأناشيد التي ليست من دين الإسلام إلى دين الإسلام وجعلها جزءا منه.

ومنها: نسبة الرسول ﷺ إلى التقصير في التبليغ والبيان لأمته، حيث لم يأمرهم بالأناشيد الجماعية الملحنة ويخبرهم أنها أناشيد إسلامية.

ومنها: نسبة الرسول ﷺ وأصحابه إلى إهمال أمر من أمور الإسلام وترك العمل به.

ومنها: استحسان بدعة الأناشيد الملحنة بألحان الغناء وإدخالها في أمور الإسلام، وقد ذكر الشاطبي في كتاب «**الاعتصام**» ما رواه ابن حبيب عن ابن الماجشون قال: سمعت

---

(1) نفس المصدر السابق.

مالكا يقول: «من ابتدع في الإسلام بدعة يراها حسنة فقد زعم أن محمدا ﷺ خان الرسالة لأن الله يقول: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ}

فضيلة الشيخ عبد المحسن العباد - حفظه الله -

قال - حفظه الله - في جوابه عن سؤال عن حكم الأناشيد الإسلامية:

«الإنسان عليه أن يشغل وقته فيما يعود عليه بالخير والنفع في الدنيا والآخرة، فيشتغل بذكر الله وقراءة القرآن و قراءة الكتب النافعة، وكذلك يطلع على الشعر الطيب الذي يدل على مكارم الأخلاق، وعلى الآداب الطيبة، أما هذه الأناشيد التي ظهرت في الآونة الأخيرة والتي يجتمع مجموعة وينشدون بصوت واحد بترنم ويسجل ذلك ثم ينشر ويشتغل به الناس، فإن هذا لا ينبغي الاشتغال به ولا ينبغي الاهتمام به، لأن المهم هو المعاني الطيبة، والحرص على معرفة المعاني الطيبة، وسماع الأمور الطيبة، وأما عشق الأصوات والحرص على الاستمتاع بالأصوات فإن هذا لا يليق ولا ينبغي» (1)

هذه هي أقوال أهل العلم الثقات في حكم الأناشيد، فهل يبقى بعد ذلك من عذر للذين يتخذون هذه الوسيلة في الدعوة إلى الله، على أنها وسيلة شرعية!!

قال الأخ عصام المري: «**قد جرت عادة المخرجين لهذه الأناشيد وأصحاب المصالح الاستعانة بفتيان وفتيات من أصحاب الأصوات الجذابة الخلابة، زيادة في التأثير،**

(1) القول المفيد في حكم الأناشيد تأليف عصام المري ص 70.

وترويجا لعملهم هذا عند الكبير والصغير، وقد حذر العلماء قديما وحديثا من الافتتان بالأصوات الحسية والتعلق بها» (1)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «وأما تحرك النفوس عن بمجرد الصوت، فهذا أيضا محسوس فإنه يحركها تحريكا عظيمة جدا بالتفريح والتحزين، والإغضاب والتخويف، ونحو ذلك من الحركات النفسانية، كما أن النفوس تتحرك أيضا عن الصور بالمحبة تارة وبالبغض أخرى، وتتحرك عن الأطعمة بالبغض تارة والنفرة أخرى، فتحرك الصبيان والبهائم عن الصوت هو من ذلك، لكن كل ما كان أضعف كانت الحركة به أشد. فحركة النساء به أشد من حركة الرجال، وحركة ومن حركة البالغين، وحركة البهائم أشد من حركة الآدميين، فهذا يدل على أن قوة التحرك عن مجرد الصوت لقوة ضعف العقل، فلا يكون في ذلك حمد إلا وفيه من الذم أكثر ذلك وإنما حركة العملاء عن الصوت المشتمل على الحروف المؤلفة المتضمنة للمعان المحبوبة، وهذا أكمل ما يكون في استماع القرآن» (2)

2. ما يسمي بالتمثيل الإسلامي

هذا التمثيل الذي اتخذه بعض الدعاة وسيلة من وسائل الدعوة، وقد أنكره جماعة من أهل العلم وكتبوا فيه كتبا وأصدروا فيه فتاوىٰ شرعية تقتضي تحريمه منهم:

فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري ﵀

(1) القول المفيد في حكم الأناشيد ص 50.

(2) الاستقامة 1/373.

قال: «إن إدخال التمثيل في الدعوة إلى الله تعالى ليس من سنة رسول الله ﷺ ولا من سنة الخلفاء الراشدين المهديين، وإنما هو منا المحدثات في زماننا».

وقد حذر النبي ﷺ من المحدثات، وأمر بردها، وأخبر أنها شر وضلالة.

فمن النصوص الواردة في ذلك قول النبي ﷺ: **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»**

وهذا الحديث أصل في المنع من التمثيل، ومن إدخاله في وسائل الدعوة إلى الله تعالى، لأنه لم يكن من سنة رسول الله ﷺ ولا من سنة الخلفاء الراشدين.

ومن النصوص الواردة في ذلك – أيضا – ما جاء في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يقول: **«أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة»**

وفي لفظ آخر: **«إن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»** (1)

وهذا الحديث: أصل من الأصول في المنع من التمثيل، ومن إدخاله في وسائل الدعوة إلى الله تعالى لأنه لم يكن من هدي رسول الله ﷺ وإنما هو من المحدثات التي أحدثت في القرن الرابع عشر من الهجرة..

---

(1) رواه النسائي بإسناد جيد.

ومن النصوص الواردة في ذلك: ما جاء في الصحيحين عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «**من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد**»

وفي رواية لأحمد، ومسلم، والبخاري تعليقا معزوما به: «**من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد**»

وفي رواية لأحمد إسنادها صحيح على شرط مسلم: «**من صنع أمرا من غير أمرنا فهو رد**».

وهذه الرواية والتي قبلها كل واحدة منهما تقطع دابر الشبه التي يتعلق بها المبيحون للتمثيل...

وإذا علم هذا فليعلم – أيضا – أنه لا يمكن لأحد أن يقول: إن التمثيل مصنوع بأمر النبي ﷺ، وأنه ﷺ قد أمر بإدخاله في وسائل الدعوة إلى ومن كابر وزعم أنه مصنوع بأمر النبي ﷺ، وأن النبي ﷺ قد أمر بإدخاله في وسائل الدعوة إلى الله تعالى فعليه إبراز الأمر النبوي الذي ينص على ذلك، ولن تجد إليه سبيلا؟» [1].

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ﵀

سئل ﵀: إن مما وقع فيه الخلاف بين الدعاة إلى الله ﷻ أمر وسائل الدعوة، فمنهم من يجعلها عبادة توقيفية وبالتالي ينكر على من يقيمون الأنشطة المتنوعة الثقافية أو الرياضية أو المسرحية لوسائل الجذب للشباب ودعوتهم ومنهم من يرى أن الوسائل تتجدد

---

(1) تحذير العاقل النبيل ما لفقه المبيحون للتمثيل ص 7-10.

بتجدد الزمان وللدعاة أن يستخدموا كل وسيلة مباحة في الدعوة إلى الله ﷻ نرجو من فضيلتكم بيان الصواب في ذلك.

الجواب: الحمد لله رب العالمين، لا شك أن الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى عبادة كما أمر الله بها في قوله: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:125]

والإنسان الداعي إلى الله يشعر وهو يدعو إلى الله ﷻ أنه ممتثل الأمر الله وسنة رسوله ﷺ فإن كتاب الله سبحانه وتعالى هو أعظم واعظ للبشرية ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:57]

، والنبي ﷺ كذلك يقول أبلغ الأقوال موعظة، فقد كان يعظ أصحابه أحيانا موعظة يصفوها بأنها «وجلت منها القلوب وذرفت منها العيون» (1)

فإذا تمكن الإنسان من أن تكون عظته هذه الوسيلة فلا شك أن هذه خير وسيلة، أي بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وإذا رأي أن يضيف إلى ذلك أحيانا وسائل مما أباحه الله فلا بأس هذا ... ولكن بشرط ألا تشتمل هذه الوسائل على شيء محرم كالكذب أو تمثيل دور الكافر مثلا في تمثيليات أو تمثيل الصحابة رضي الله عنهم أو الأئمة.. أئمة المسلمين من بعد الصحابة أو ما أشبه ذلك مما يخشى منه أن يزدري أحد من الناس هؤلاء الأئمة الفضلاء..

---

(1) رواه أبو داود والترمذي والحديث صحيح.

ومنها أيضا ألا تشتمل التمثيلية على تشبه رجل بامرأة أو العكس، لأن هذا مما ثبت فيه اللعن عن رسول الله ﷺ فإنه لعن المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء. المهم أنه إذا أخذ بشيء من هذه الوسائل أحيانا من أجل التأليف ولم يشتمل هذا على شيء محرم فلا أرى به بأسا، أما الإكثار منها وجعلها هي الوسيلة للدعوة إلى الله والإعراض عن الدعوة بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ بحيث لا يتأثر المدعو إلا بمثل هذه الوسائل فلا أرى ذلك، بل أرى أنه محرم، لأن توجيه الناس إلى غير الكتاب والسنة فيما يتعلق بالدعوة إلى الله أمر منكر، لكن فعل ذلك أحيانا لا أري فيه بأس إذا لم يشتمل على شيء محرم» (1)

وكل أيضا: ما حكم تمثيل الصحابة والصالحين في ما يسمي بالتمثيليات الدينية، وهل هناك فرق في الحكم فيما إذا كان الممثل صالحا أو غير صالح؟ جزاكم الله خيرا

الجواب: الذي أري أنه لا يجوز تمثيل الصحابة والأئمة، ومن لهم حق الحرمة، لأن التمثيل يحط من قدرهم، لاسيما إذا كان الممثل شخصا فاسقا أو ما أشبه ذلك، ولا أرى فرقا بين الممثل إذا كان صالحا أو غير صالح إذا مثل من لهم حق الحرمة كالصحابة وأئمة المسلمين» (2)

فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -

سئل فضيلته: المراكز الصيفية يقام فيها التمثيل والأناشيد، ما رأيكم في ذلك؟

(1) كتاب الدعوة 2/167-169.

(2) فتاوى علماء البلد الحرام ص 988.

فأجاب حفظه الله تعالى:

يجب على القائمين على المراكز الصيفية أن يمنعوا فيها الأشياء التي لا فائدة فيها، أو فيها مضرة على الطلاب، وأن يعلموهم القرآن والسنة، والأحاديث والفقه واللغة العربية، وفي هذا غنية وشغل للوقت عن الأشياء الأخرى، وكذلك تعليمهم العلوم التي يحتاجونها في دنياهم، كالخط والحساب والمهارات المفيدة، أما الأشياء التي يسموها ترفيهية فهذه في الواقع لا ينبغي أن تكون في البرامج، لأنها تقتطع جزءا من الوقت بلا فائدة، بل ربما تشغلهم وتنسيهم الفائدة التي جاءوا من أجلها، ومن ذلك:

التمثيليات، والأناشيد، فإنه مجرد هو ولعب، وتدرب الطلاب على متابعة المسرحيات والأغاني، التي تبث في وسائل الإعلام المختلفة [1].

وسئل أيضا: ما حكم التمثيل المسمى «**الديني**»، والأناشيد المسماة بالإسلامية التي يقوم بها بعض الشباب في المراكز الصيفية؟

الجواب: التمثيل لا أراه جائز، لأنه:

أولا: فيه إلهاء للحاضرين، لأنهم ينظرون إلى حركات الممثل ويضحكون. فالغالب من التمثيل مقصود به التسلية فقط وإلهاء الحاضرين هذا من ناحية.

والناحية الثانية: أن الأشخاص الذين يمثلون قد يكونون من عظماء الإسلام، وقد يكونون من الصحابة، وهذا يعتبر من التنقص لهم، شعرت أو لم تشعر، فمثلا: طفل، أو

---

(1) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ص 2- 4.

صبي، أو إنسان على غير المظهر اللائق، يمثل عالم من علماء المسلمين أو صحابيا.. هذا لا يجوز، لما فيه من تنقص الشخصية الإسلامية بمظهر الممثل الفاسق، أو المستهجن.

فلو جاء أحد مثلك بأن يمشي مشيك أو يتكلم مقلدا لك، هل ترضى كذا؟ أو تعد هذا من التنقص لك؟ وإن كان الممثل يقصد - بزعمه - الخير، لكن الأشخاص لا يرضون أن أحدا يتنقصهم.

ثالثا – وهو أخطر -: أن بعضهم يتقمص شخصية كافرة، كأبي جهل، وفرعون - وغيرهم - ويتكلم بكلام الكفر، بزعمه أنه يريد الرد عليه، أو يريد بيان كيف كانت الجاهلية، فهذا تشبه في تقمص الشخصية وتشبه بكلامهم.

وأيضا من المحاذير، أن هذه الطريقة في الدعوة ليست من هدي الرسول ﷺ ولا هو هدي سلفنا الصالح، ولا من هدي المسلمين.

هذه التمثيليات ما عرفت إلا من الخارج - من الكفار – وتسربت إلينا باسم الدعوة إلى الإسلام، واعتبارها من وسائل الدعوة، غير صحيح، ووسائل الدعوة – ولله الحمد - توقيفية غنية عن هذه الطريقة.

وكانت الدعوة ناجحة في مختلف العصور بدون هذه التمثيليات، ولما جاءت هذه الطريقة ما زادت الناس شيئا ولا أثرت شيئا، مما يدل على أنها سلبية، وأن ليست فيها فائدة، وإنما فيها مضرة.

نقول: إن الملك يأتي في صورة آدمي لأن الإنسان لا يطيق النظر إلى الملك بصورته، وهذا من مصلحة البشر، لأن الملائكة لو جاءوا بصورهم الحقيقية ما استطاع البشر أن يخاطبوهم، ولا أن يكلموهم، ولا أن ينظروا إليهم.

والملائكة حينما تتمثل بصورة شخص لا تقصد التمثيل الذي يعنيه هؤلاء.

الملائكة تتمثل بالبشر من أجل المصلحة، لأن الملائكة لهم صور غير صور البشر.

أما عند البشر فكيف تغير الصورة من إنسان إلى إنسان؟ ما هو الداعي إلى هذا؟ (1)

فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال: هل يجوز تمثيل الصحابة لأننا نقدم تمثيليات وقد أوقفنا إحداها رغبة في معرفة الحكم.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على رسوله وآله وصحبه ... وبعد:

الجواب: تمثيل الصحابة، أو أحد منهم ممنوع لما فيه من الامتهان هم والاستخفاف هم وتعريضهم للنيل منهم، وإن ظن فيه مصلحة فما يؤدي إليه من المفاسد أرجح، وما كانت مفسدته أرجح فهو ممنوع، وقد صدر قرار من مجلس هيئة كبار العلماء في منع ذلك.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم (2)

فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي - حفظه الله -

---

(1) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ص 57-63.

(2) فتاوى اللجنة الدائمة لمسح العلمية والإفتاء 1/497.

سئل - حفظه الله - «السلام عليكم ورحمة الله وبركاته: نحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وندعوه أن يمدكم بعونه وتوفيقه، ويهبكم القدرة على خدمة الإسلام والمسلمين، وتبصيرهم بأمور دينهم ودنياهم وبعد:

فيعلم فضيلتكم، ما انتشر في هذا الزمان من المشاهد التمثيلية، والأناشيد[1] بين طبقة من الشباب ولا سيما في المراكز الصيفية، وغيرها من المناسبات، ويجعلون الإسلام ستارا لها، فيقولون: إن المشاهد التمثيلية، تعالج كثيرا من المشكلات، التي عجز عنها الدعاة والمصلحون، وحجتهم على ذلك: أن المُشاهد لهذه التمثيليات، ترسم في عقله الصورة والصوت، فيكون ذلك دواء شافيا لما يصيبه من أمراض اجتماعية، وغيرها، ولذلك نراهم يسمونها بالتمثيليات الدينية، والأناشيد الإسلامية، وقد دفعنا ما نسمع من أصحاب هذه الأقوال الزائفة إلى الكتابة إلى فضيلتكم، راجين من الله ثم من فضيلتكم بيان حكم الله ورسوله ﷺ في هذه التمثيليات، الفائدة ويبين الحق سائلين الله تعالى لكم العون والتوفيق، والسداد إنه ولي ذلك، والقادر عليه؟

الجواب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ومن الله أستمد منه العون، والتوفيق والسداد

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

أولا: التمثيل: فالذي يظهر لي فيه التحريم، لأنه ينبني على أمور محرمة.

---

(1) نقتصر في هذه الفتوى على حكم التمثيليات فقط، لوجود فتوى أخرى للشيخ في حكم الأناشيد.

1. الكذب: لأن التمثيل لا يقوم إلا على الكذب، ولا ينبني إلا عليه، ولا يتم إلا به، والكذب حرام لا يشك مسلم في تحريمه، فقد ذمه الله تعالى في كتابه العزيز، وذم فاعليه، بل لعنهم، فقال ﷻ: { ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَةَ اللّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ } [آل عمران:61]

وفي الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: «إن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار» (1)

1. التزوير والادعاء بالباطل: وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال «من ادعي ما ليس له فليس منا» (2) الحديث.

2. التصنع: فإن الممثل يتصنع البكاء أو الضحك أو الحزن أو الفرح أو الغضب أو الرضا، وهو كاذب.

3. تقمص الشخصية: فقد يتقمص المسلم شخصية الكافر، وقد بتقمص الكافر أو الفاسق شخصية مؤمنة من كبار الشخصيات في الإسلام، إما أن يكون صحابية أو عالم جليلا أو ملكا عادلا وهذه جريمة عظمى.

4. استحلال الممثلين لهذه الأمور المحرمة: علما بأن حكاية إنسان لإنسان في هيئته أو مشيته أو كلامه غيبة، والغيبة محرمة، وقد قال النبي ﷺ ما أحب أبي حكيت أحدا وأن لي كذا وكذا...» (3) الحديث

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه الإمام الترمذي وأبو داود وأحمد والحديث صحيح.

5. أنها تعلم الخيانات، والفجور: وأن دعوى الإصلاح تسبقها أو تكذبها المفاسد، التي وقعت بسبب مشاهدة التمثيليات الفاسدة.

6. أن الممثلين ممن ينتمون إلى الإسلام، خدموا المستشرقين، أعداء الإسلام، أعظم خدمة، فهم يأخذون روايات مدسوسة على قادة الإسلام، ورجال الإسلام، المقصود منها الحط من أقدارهم فيأخذها هؤلاء الممثلون، وينشرونها، فإما أن يفطنوا لها، ويعجبهم ذلك، وإما لا يفطنوا لها.

وإما أن يظنوا صحتها، ويكونون بذلك قد خدموا المستشرقين، ووضعوا من شأن الإسلام، ورجاله، وهذا غاية الإساءة إلى الإسلام، وأهل الإسلام، بل قد يصل بفاعليه إلى الكفر.

7. أن الصحابة، ومن بعدهم قد تأثروا بسماع القرآن والسنة والمواعظ، ولم يحتاجوا إلى التمثيل[1]

(1) الفتاوى الجلية عن المناهج الدعوية 35-37.

قلت: وهذا التمثيل من أفعال الكفار والمشركين، وقد نهانا النبي ﷺ عن التشبه بهم فقال ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»[1] بل أمرنا ﷺ بمخالفتهم فقال: «**خالفوا اليهود والنصارى ...**»[2]، وقوله: «**خالفوا المشركين ...**»[3]، وقوله «**خالفوا المجوس ...**»[4]

ومن يظن أن التمثيل من مصلحة الدعوة فقد أخطأ، بل القسم الشريعة بالتقصير، فالشريعة لا تحمل المصلحة الشرعية.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «**والقول الجامع: أن الشريعة لا تمل مصلحة قط، بل الله تعالى قد أكمل لنا الدين، وأتم النعمة، فما من شيء يقرب إلى الجنة إلا وقد حدثنا**[5] **وتركنا على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعده إلا هالك.**

لكن ما اعتقده العقل مصلحة وإن كان الشرع لم يرد به فأحد الأمرين لازم له:

إما أن الشرع دل عليه من حيث لم يعلم هذا الناظر.

أو أنه ليس مصلحة وإن اعتقده مصلحة، لأن المصلحة هي المنفعة الخاصة أو الغالبة.

---

(1) رواه أبو داود والحديث صحيح. انظر صحيح الجامع 2/1059/6149.

(2) تقريب ابن حبان 2186.

(3) رواه مسلم.

(4) رواه مسلم.

(5) لو كان التمثيل مشروعا ويقربنا إلى الجنة لحدثنا به النبي ﷺ

وكثيرا ما يتوهم الناس أن الشيء يتفع في الدين والدنيا، ويكون فيه منفعة مرجوحة بالمضرة» [1] هذه أقوال أهل العلم في هذه الوسيلة البدعية، التي ينبغي لأصحابها أن يتركوها ويهجروها لما فيها من المفاسد الكثيرة.

3. التصوير

بعض الدعاة من يتخذ التصوير وسيلة للدعوة إلى الله من أجل جلب الأموال من المؤسسات أو الجمعيات الخيرية للاستعانة بها لإنفاقها على الفقراء والمساكين واليتامى، وقد يعطي جزءا لتأليف قلوب الشباب للانضمام للحزب، وهذا في نظرهم من مصلحة الدعوة، ووسيلة من وسائلها.

وقد أفتى كثير من العلماء بتحريم التصوير إلا ما كان للضرورة، أما أنه وسيلة دعوية مشروعة فقد أفتوا بتحريمها استنادا إلى كثير من الأحاديث النبوية منها:

قول النبي ﷺ قال الله ﷻ: «**ومن أظلم ممن يخلق كخلقي فليخلقوا بعوضة أو ليخلقوا ذرة**» [2]

قال ابن حجر: قوله «**كخلقي**» التشبيه في فعل الصورة وحدها لا من كل الوجوه» [3] وقال أيضا نسب الخلق إليهم على سبيل الاستهزاء أو التشبيه في الصورة فقط.

---

(1) مجموع الفتاوى 11/344.

(2) متفق عليه.

(3) فتح الباري 10/386

قال النووي: «قال أصحابنا وغيرهم من العلماء: تصوير صورة الحيوان حرام شديد التحريم، وهو من الكبائر لأنه متوعد عليه هذا الوعيد الشديد المذكور في الأحاديث، وسواء صنعه بما يمتهن أو بغيره فصنعته حرام بكل حال لأن فيه مضاهاة لخلق الله تعالى، وسواء ما كان في ثوب أو بساط، أو درهم أو دينار أو فلس، أو إناء، أو حائط، أو غيرها، وأما تصوير صورة الشجر ورحال الإبل، وغير ذلك ما ليس فيه صورة حيوان فليس حرام، هذا حكم نفس التصوير، وأما اتخاذ المصور فيه صورة حيوان فإن كان معلقا على حائط أو ثوب ملبوسا أو عمامة، ونحو ذلك مما لا يعد ممتهنا فهو حرام وإن في بساط يداس ومخدة ووسادة ونحوها مما يمتهن فليس بحرام، ولكن هل يمنع دخول ملائكة الرحمة ذلك البيت فيه كلام نذكره قريبا إن شاء الله، ولا فرق في هذا كله بين ما له ظل، وما لا ظل له: هذا تلخيص مذهبنا في المسألة، ومعناه قال جماهير العلماء من الصحابة والتابعين، ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم، وقال بعض السلف إنما ينهى عما كان له ظل ولا بأس بالصور التي ليس لها ظل وهذا مذهب باطل، فإن السر الذي أنكر النبي ﷺ الصورة فيه لا يشك أحد أنه مذموم وليس لصورته ظل مع باقي الأحاديث المطلقة في كل صورة، وقال الزهري: النهي في الصورة على العموم[1].

(1) شرح النووي 14/81-82

وعن عائشة ﵂قالت: **«دخل على رسول الله ﷺ، وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه هتكه وتلون وجهه وقال: يا عائشة، أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة الذين يضاهون بخلق الله، قالت عائشة ﵂: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين»** (1)

فتاوى العلماء في التصوير

بعدما ذكرنا قول النووي في حكم التصوير، وما ذكره أن هذا الحكم - التحريم - هو قول جماهير الصحابة والتابعين ومن بعدهم، وهو مذهب الثوري ومالك وأبي حنيفة وغيرهم، نذكر أقوال غيرهم من أهل العلم منهم:

الإمام الشوكاني ﵀بعدما ذكر قول النبي ﷺ إن الذين يصنعون هذه الصور يعذبون يوم القيامة، وحديث ابن عباس في الرجل الذي جاءه يسأله عن التصاوير فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسا تعذبه في جهنم**» الحديث.

قال الإمام الشوكاني ﵀: «الحديثان يدلان على أشد المحرمات للتوعد عليه بالتعذيب في النار، وبأن كل مصور من أهل النار، ولورود لعن المصورين في أحاديث أخرى وذلك لا يكون إلا على محرم متبالغ في القبح، وإنما كان التصوير من أشد المحرمات الموجبة لما ذكر لأن فيه مضاهاة لفعل الخالق جل جلاله، ولهذا سمي الشارع فعلهم

---

(1) متفق عليه.

خلقا وسماهم خالقين، وظاهر قوله: «كل مصور» وقوله: «بكل صورة صورها» أنه لا فرق بين المطبوع في الثياب، وبين ما له جرم مستقل [1]

فضيلة الشيخ حمود بن عبد الله التويجري ﷺ ذكر من الفوائد التي تستفاد من حديث عائشة [2] ﷺ، قال: «وقد اشتمل حديث عائشة ﷺ على فوائد كثيرة:

إحداها: تحريم التصوير.

الثانية: أنه من الكبائر لما جاء فيه الوعيد الشديد.

الثالثة: أن علة التحريم هي المضاهاة بخلق الله تعالى، وذلك من أعظم الظلم.

الرابعة: أنه لا فرق في تحريم التصوير بين أن تكون الصور مجسدة، أو غير مجسدة.

الخامسة: الغضب وتسعر الوجه عند رؤية المنكر.

السادسة: كراهة دخول البيت الذي فيه صورة.

السابعة: إنكار المنكر بحسب القدرة فمن قدر على التغيير بيده فذلك هو الواجب عليه.

الثامنة: هتك الصور وطمسها أينما وجدت وسواء في ذلك الصور المجسدة وغير المجسدة.

التاسعة: جواز القعود والاتكاء على ما فيه صورة إذا لم يمكن طمسها لأن في وطء الصورة والقعود والاتكاء عليها ابتذالا وامتهانا لها.

---

(1) نيل الأوطار 2/105.

(2) متفق عليه.

العاشرة: شدة الوعيد للمصورين.

الحادية عشرة: تكليفهم بما لا يقدرون عليه من نفخ الروح فيما صوروه.

الثانية عشرة: امتناع الملائكة من دخول البيت إذا كان فيه صورة (1)

يستفاد من حديث عائشة رضي الله عنها إنكار النبي ﷺ لنصب الستر الذي فيه الصور ومن هتكه له ومن تلون وجهه لما رآه، ومن الوعيد الشديد للمصورين، وإن علة التحريم هي المضاهاة بخلق الله تعالى، وهناك علة أخرى وهي أن التصوير ذريعة إلى عبادة الصور كما وقع ذلك لقوم نوح(2) وللنصارى(3) وغيرهم من المشركين.

وقوله ﷺ: «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولا صورة**» (4)

قال النووي: قال العلماء: سبب امتناعهم من بيت فيه صورة كونها معصية وفاحشة، وفيها مضاهاة لخلق الله تعالى، وبعضها في صورة ما يعبد من دون الله تعالى، ...، فعوقب متخذها بحرمانه دخول الملائكة بيته وصلاها فيه، واستغفارها له، وتبريكها عليه، وفي بيته، ودفعها أذى الشيطان (5)

---

(1) إعلان النكير على المفتونين بالتصوير (ص 35 - 40) باختصار.

(2) رواه البخاري.

(3) متفق عليه.

(4) رواه مسلم.

(5) شرح النووي 14/4

وقوله ﷺ: **«إن الذين يصـــنعون هذه الصـــور يعذبون يوم القيامة يقال لهم: أحيوا ما خلقتم»** (1)

هذا الوعيد الشـديد بالعذاب للمصـورين يدل على تحريم ما يصـنعون، يقال لهم يوم القيامة: أحيوا ما خلقتم، وتكليفهم بما يظهر به عجزهم، ولا فرق بين الصـور المحسـمة وغير المحسمة لأن «أل» للاستغراق فتعم.

ﷺ وقوله: **«إن أشد الناس عذابا عند الله يوم القيامة المصورون»** (2)

وعن ابن عباس رضي الله عنهما إذ أتاه رجل فقال: يا أبا عباس، إني إنسان إنما معيشتي من صنعة يدي وإنما أصـنع هذه التصـاوير، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا أحدثك إلا ما سـمعت من رسـول الله، سـمعته يقول: من صـور صـورة فإن الله معذبه حتى ينفخ فيها الروح وليس بنافخ فيها أبدا، فربا الرجل ربوة شـديدة، واصـفر وجهه، فقال: ويحك، إن أبيت إلا أن تصنع فعليك بهذا الشجر وكل شيء ليس فيه روح (3)

وفي هذا الحديث تحريم التصـوير وأنه من الكبائر للوعيد عليه بالنار، وإن التحريم عام في كل صـورة من صـور ذوات الأرواح، لأن قوله: «صـورة» نكرة في سـياق الشـرط

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه

(3) متفق عليه.

فتعم المجسدة وغير المجسدة، والتامة والناقصة إذا كان فيها الرأس، والأصل في هذا قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ: «مر بالرأس فليقطع فيصير كهيئة الشجرة» (1)

وظاهر هذا الحديث يقتضي العموم للحيوانات والحشرات والإنسان، وكل ما فيه روح.

هذه الأحاديث وغيرها تفيد تحريم التصوير، ولا حجة لأحد ممن يجيزون التصوير إلا للضرورة كما سيأتي معنا من فتاوى العلماء:

فضيلة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

سئل رحمه الله: ما حكم تعليق الصور في المنازل وغيرها؟

الجواب: «حكم ذلك التحريم إذا كانت الصور من ذوات الأرواح من بني آدم أو غيرهم لقول النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه: «لا تدع صورة إلا طمستها، ولا قبرة مشرفا إلا سويته» (2)

لما ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: علقت على سهوة لنا سترا فيه تصاوير، فلما رآه النبي ﷺ هتكه وتغير وجهه وقال: «يا عائشة إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» (3)، لكن إذا كانت الصورة في بساط يمتهن، أو وسادة يرتفق بها فلا حرج في ذلك، لما ثبت عن النبي ﷺ أنه كان على موعد من

---

(1) رواه النسائي وغيره بإسناد جيد.

(2) رواه مسلم.

(3) متفق عليه.

جبرائيل، فلما جاءه جبرائيل امتنع عن دخول البيت، فسأله النبي ﷺ فقال إن في البيت تمثالا وسترا فيه تصاوير و كلبا، فمر برأس التمثال أن يقطع، وبالستر أن يتخذ منه وسادتان منتبذتان توطآن، ومر بالكلب أن يخرج، ففعل ذلك النبي ﷺ فدخل جبرائيل عليه السلام [1] وفي الحديث المذكور أن الكلب كان جرو للحسن أو الحسين تحت نضد في البيت، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «**لا تدخل الملائكة بيتا فيه صورة ولا كلب**» [2] وقصة جبرائيل هذه تدل على أن الصورة في البساط و نحوه لا تمنع الملائكة، ومثل ذلك ما ثبت في الصحيح أنها اتخذت من الستر المذكور وسادة يرتفق بها النبي ﷺ[3]

وسئل أيضا: لقد بلغنا من بعض الناس أن الصور حرام وإن الملائكة لا تدخل البيت الذي توجد به الصور، هل هذا صحيح، وهل القصد من هذه الصور المحرمة المصورة كهيئة الآدمي أو الحيوان يعي المجسمة أم هي تشمل جميع التصاوير كالصورة الموجودة في حفيظة النفوس، والموجودة في الفلوس إذا كان التحريم يشمل هذا كله، فما هو الحل من إخلاء البيت من هذه كلها أفيدونا؟

الجواب: «نعم صور جميع الأحياء من آدمي أو حيوان حرام سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة أم رسوما وألوانا في ورق ونحوه أم نسيج في قماش أو صور شمسية، وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه صورة لعموم الأحاديث الصحيحة التي دلت على ذلك،

---

(1) رواه النسائي وغيره بإسناد جيد.

(2) متفق عليه.

(3) كتاب الدعوة ص 19-20.

ويرخص فيما دعت إليه الضرورة كالصور التي للمجرمين والمشبوهين لضبطهم، والصور التي في جوازات السفر، وحفائظ النفوس، ويرجى ألا تكون هذه وأمثالها مانعة من دخول الملائكة البيت لضرورة حفظها وحملها. والله المستعان، وهكذا الصور التي تمتهن كالتي في الفراش والوسائد، ومن الأحاديث الواردة في ذلك قول النبي ﷺ:

«إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم» (1)

وروي أيضا عن أبي جحفة ﷺ أن النبي ﷺ **«لعن آكل الربا وموكله ولعن المصور»** (2)

المحدث محمد ناصر الدين الألباني ﷺ

قال ﷺ«تعليق الصور على الجدران سواء كانت مجسمة أو غير مجسمة، لها ظل، أو لا ظل لها، يدوية أو فوتوغرافية، فإن ذلك كله لا يجوز، ويجب على المستطيع نزعها إن لم يستطع تمزيقها، وفيه أحاديث:

عن عائشة ﷺ قالت: **«دخل علي رسول الله وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل، [وفي رواية: فيه الخيل ذوات الأجنحة]، فلما رآه هتكه، وتلون وجهه، وقال: يا عائشة: أشد الناس عذابا عند الله يوم القيام الذين يضاهون بخلق الله، [وفي رواية: إن أصحاب هذه الصور يعذبون، ويقال لهم: أحيوا ما خلقتم]، ثم قال: إن البيت الذي فيه الصور لا**

(1) رواه البخاري.

(2) كتاب الدعوة.

تدخله الملائكة، قالت عائشة: فقطعناه فجعلنا منه وسادة أو وسادتين، فقد رأيته متكئا على إحداهما وفيها صورة» (1) قال ﵀ وفي هذا الحديث فائدتان:

الأولى: تحريم تعليق الصور، أو ما فيه صورة.

والثانية: تحريم تصويرها سواء كانت محسمة أو غير محسمة، وبعبارة أخرى: لها ظل أو لا ظل لها، وهذا مذهب الجمهور،

وقال النووي :«وذهب بعض السلف إلى أن الممنوع ما كان له ظل، وما لا ظل له فلا بأس باتخاذه مطلقا، وهو مذهب باطل، فإن الستر الذي أنكره النبي ﷺ كانت الصورة فيه بلا ظل، ومع ذلك أمر بترعه، ثم قال ﵀: ويتفرع مما ذكرنا أنه لا يجوز لمسلم عارف بحكم التصوير أن يشتري ثوبا مصورا -ولو للامتهان- لما فيه من التعاون على المنكر، فمن اشتراه، ولا علم له بالمنع، جاز له استعماله ممتهنا، كما يدل عليه حديث عائشة هذا، والله الموفق.

هذا، ولعل الصورة المذكورة في آخر الحديث: «فقد رأيته متكئا على إحداهما وفيها صورة» كان وقع القطع في وسطها، بحيث إنها خرجت عن هيئتها، وهذا جمع الحافظ بين الحديثين، وبين حديث النمرقة المتقدم (2) في المسألة (33، ص192 – 193)، فراجعه (3).

---

(1) متفق عليه.

(2) آداب الزفاف ص 113-117 باختصار.

(3) نفس المصدر.

ثم قال رحمه الله: ولا يجوز حضور الدعوة إذا اشتملت على معصية، إلا أن يقصد إنكارها ومحاولة إزالتها، فإن أزيلت، وإلا وجب الرجوع، وفيه أحاديث.

الأول: عن علي قال: «صنعت طعاما فدعوت رسول الله ﷺ فجاء فرأى في البيت تصاوير، فرجع [قال: فقلت: يا رسول الله ما أرجعك بأبي أنت وأمي؟] قال: **إن في البيت سترة فيه تصاوير، وإن الملائكة لا تدخل بيتا فيه تصاوير**» (1)

وعلى ما ذكرنا جرى عليه عمل السلف الصالح رضي الله عنهم والأمثلة على ذلك كثيرة جدا فأقتصر على ما يحضرني الآن.

منها: أ - عن أسلم - مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين قدم الشام، فصنع له (2) رجل من النصارى، فقال لعمر: إني أحب أن تجيئي وتكرمني أنت وأصحابك وهو رجل من عظماء الشام - فقال له عمر رضي الله عنه

«**إنا لا ندخل كنائسكم من أجل الصور التي فيها**» (3)

ب - عن أبي مسعود - عقبة بن عمرو أن رجلا صنع له طعاما فدعاه، فقال: أفي البيت صورة؟ قال: نعم، فأبى أن يدخل حتى كسر الصورة، ثم دخل (4) ثم قال معقبا على قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه «واعلم أن في قول عمر هذا دليلا واضحا على خطأ ما

---

(1) رواه ابن ماجه وأبو يعلى في مسنده والزيادة له، بسند صحيح.

(2) يعني: طعام.

(3) رواه البيهقي بسند صحيح.

(4) رواه البيهقي بسند صحيح.

يفعله بعض المشايخ من الحضور في الكنائس الممتلئة بالصور والتماثيل، استجابة منهم لرغبة بعض المسؤولين أو غيرهم، وليت أن الأمر يقف عند هذا الحد، ولكنهم مع الأسف الشديد يسمعون كلمة الكفر والضلال من بعض المتكلمين فيها – وقد يكون مسلم - ثم ينصتون ولا ينطقون! ولا يظهرون حكم الشرع في ذلك، وهم يعلمون! مثل قول بعضهم:

أنه لا فرق بين مسلم ومسيحي! الدين لله والوطن للجميع! وحكم آخرين بالشهادة لمن ليس مسلما، مع علمهم أن المسلم نفسه لا يحكم له بالشهادة إلا بشروط معروفه لديهم، وغير ذلك المخالفات، فإنا لله وإنا إليه راجعون [1]

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

السؤال: ما حكم رسم ذوات الأرواح [2]؟ وهل هو داخل في عموم الحديث القدسي :«**ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا حبة أو ليخلقوا شعيرة**»

الجواب: «نعم هو داخل في هذا الحديث، لكن الخلق خلقان: خلق جسمي وصفي، وهذا في الصور المجسمة وخلق وصفي لا جسمي، وهذا في الصور المرسومة، وكلاهما يدخل في الحديث المتقدم، فإن خلق الصفة كخلق الجسم، وإن كان الجسم أعظم لأنه

(1) آداب الزفاف ص 93 / حاشية.

(2) هناك من الجماعات الإسلامية من يرسم عناصرها الذين يطلقون عليهم شهداء في لوحات كبيرة وتعلق على مداخل الشوارع الرئيسية، وهذه التصاوير مكلفة جدا ماديا.

جمع بين الأمرين الخلق الجسمي، والخلق الوصفي، ويدل على ذلك – أي العموم - وأن التصوير محرم باليد، سواء كان تجسيما أم كان تلوين: عموم لعن النبي ﷺ للمصورين، يدل على أنه لا فرق بين الصور المجسمة والملونة التي لا يحصل التصوير فيها إلا بالتلوين فقط، ثم إن هذا هو الأحوط والأولى بالمؤمن أن يكون بعيدا عن الشبهة، ولكن قد يقول قائل: أليس الأحوط في اتباع ما دل عليه النص، لا في اتباع الأشد؟ فنقول: صحيح إن الأحوط اتباع ما دل عليه النص لا اتباع الأشد، لكن إذا وجد لفظ عام يمكن أن يتناول هذا وهذا فالأحوط الأخذ بعمومه، وهذا ينطبق تماما على حديث التصوير، فلا يجوز للإنسان أن يرسم صورة ما فيه روح من إنسان وغيره، لأنه داخل في لعن المصورين. والله الموفق» (1)

وسئل أيضا: ما حكم تعليق الصور على الجدران؟

الجواب: «**تعليق الصور على الجدران** (2) **- ولاسيما الكبيرة منها - حرام حتى وإن لم يخرج إلا بعض الجسم والرأس وقصد التعظيم فيها ظاهر، وأصل الشرك هو هذا الغلو كما جاء ذلك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في أصنام قوم نوح التي يعبدونها: إنها كانت أسماء رجال صالحين صوروا صورهم ليتذكروا العبادة، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم»** (3)

---

(1) المجموع الثمين 1/200.

(2) لم يكتفوا بوضعها في الشوارع العامة، بل أدخلوها وعلقوها على جدران المساجد من الداخل.

(3) المجموع الثمين 1/201-220.

فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان - حفظه الله -

سُئل - حفظه الله -: ما حكم الصلاة في بيت فيه صور ومجلات؟ أفيدونا بارك الله فيكم؟

الجواب: «معلوم من دين الإسلام تحريم الصور، وتحريم التصوير، وتحريم اقتناء الصور لما جاء في ذلك من النهي الشديد في أحاديث متعددة صحيحة عن رسول الله ﷺ، وما في ذلك من الوعيد الشديد الذي يدل على أن التصوير من كبائر الذنوب، وأنه محرم شديد التحريم لما يجر إليه من محاذير خطيرة منها ما يلي:

أولا: فيه مضاهاة لخلق الله ﷻ، وادعاء المشاركة الله في خلقه الذي اختص به، فإنه هو الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسني.

ثانيا: أن التصوير وسيلة من وسائل الشرك، فأول ما حدث الشرك في الأرض كان بسبب التصوير، كما صور قوم نوح رجالا صالحين ماتوا في عام واحد، فتأسفوا عليهم، فجاء الشيطان إليهم وألقى إليهم أن يصوروا تصاويرهم، وينصبوها على مجالسهم حتى يتذكروا بها العبادة، ففعلوا ذلك، ولما مات هذا الجيل جاء الشيطان إلى من بعدهم، وقال: إن آباءكم ما نصبوا هذه الصور إلا ليسقوا ما المطر وليعبدوها من دون الله ﷻ[1]، ومن ثم حدث الشرك في الأرض بسبب التصوير.

وكذلك قوم إبراهيم كانوا يعبدون التماثيل، كما قال تعالى حكاية عن إبراهيم أنه قال لقومه: { إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ * قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ } [الأنبياء:52-53]

---

(1) رواه البخاري.

وكذلك اليهود عبدوا صورة العجل الذي صنعه لهم السامري.

وكذلك كان المشركون من العرب يستعملون الصور في دينهم، حتى ان الصور وضعت في الكعبة المشرفة إلى أن جاء النبي ﷺ فأزالها.

ففتنة التصوير، وفتنة التماثيل فتنة قديمة وهي فتنة خطيرة.

ثالثا: ومن محاذير التصوير أنه ربما يكون سببا في فساد الأخلاق، وذلك إذا صورت الفتيات الجميلات والنساء العاريات في المحلات والصحف، أو صورت للذكريات أو ما أشبه ذلك، فإن هذا يجر إلى الافتتان بتلك الصور، وبالتالي يوقع في القلب المرض والشهوة، ولهذا اتخذ المفسدون التصوير مطية ووسيلة لإفساد الأخلاق بتصوير النساء الجميلات الفاتنات على المحلات، وعلي غيرها، وفي الأفلام وغيرها من أنواع الصور التي تعرض للفتنة، فلا يجوز للمسلم أن يقتني الصور في بيته، وألا يحتفظ إلا بالصور الضرورية التي يحتاجها الإنسان، كصورة حفيظة النفوس، وجواز السفر، وإثبات الشخصية فهذه أصبحت ضرورية وهي لا تتخذ من باب محبة التصوير، وإنما تتخذ للضرورة والحاجة، أما ما عدا ذلك من الصور فلا يجوز الاحتفاظ به، لا للذكريات ولا للاطلاع عليها وما أشبه ذلك، فيجب على الإنسان أن يتلف الصور، وأن يخلي بيته منها مهما أمكنه ذلك، وإذا كان في منزل صور معلقة على الحيطان أو منصوبة سواء كانت تماثيل أو كانت رسوما على أوراق من صور ذوات الأرواح كالبهائم والطيور والآدميين، وكذلك كل ما فيه روح فإنه يجب إزالتها، فقد غضب النبي ﷺ حينما رأى سترة وضعته عائشة رضي الله عنها على الجدران وفيه تصاوير، فغضب الرسول ﷺ، وأبي أن

يدخل البيت الذي هي فيه حتى هتكت وحولت[1]، فدل هذا على أن التصاوير في براويز أو الاحتفاظ بها في صناديق للذكريات، كل هذا من الفتنة ومن المحرمات.[2]

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

السؤال: إني أعمل في إحدى الدوائر الحكومية في وظيفة وأقوم بالتصوير في المناسبات، وذلك عن طريق آلة الكاميرا، وعلمت أن التصوير حرام، وهو تصوير الإنسان، أرجو إفتائي في هذا لأبتعد عما يغضب الله تعالى حفظكم الله ووفقكم لما فيه الخير.

الجواب: «**تصوير كل ما فيه روح من إنسان أو حيوان حرام سواء كان التصوير بالرسم أو النسيج أو الصبغ أو الكاميرا، أم غير ذلك سواء كان مجسمة أم غير بحسم لعموم الأحاديث الثابتة الدالة على تحريمه**»[3]

هذه هي فتاوى العلماء في التصوير لغير ضرورة، ولم يذكروا من الضرورة التصوير كوسيلة للدعوة إلى الله تعالى فعلى من ابتلى هذه الفتنة أن يتقي الله تبارك وتعالى ويتوب إلى الله من هذه المعصية، وليسلك سبيل سلفنا الصالح في الدعوة إلى الله تعالى.

4. وضع الملصقات على جدران المساجد

---

(1) رواه البخاري.

(2) المنتقى من فتاوى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان 2/191-193.

(3) فتاوى إسلامية 3/306-307.

من الوسائل الدعوية عند بعض الجماعات الإسلامية، وضع الملصقات والمنشورات والبيانات على جدران المساجد من الداخل، وهذه الملصقات إما أن تكون فيها بيانات سياسية، أو دعوة لعمل ما [1]، أو كشف لبعض البيانات السياسية، أو تصريح لبعض القادة السياسيين وهذه الملصقات تحتوي على التصاوير لقادة إسلاميين أو سياسيين من اليهود والنصارى ولها أماكن خاصة تعلق عليها في لوحات ثابتة وهي جزء من المساجد، ولا يسمحون لأحد أن يتعرض لها بطمس صورة، أو تحذير من هذا الفعل.

وترى كثيرا من المصلين يجتمعون على قراءتها حين دخولهم المسجد، فيتركون تحية المسجد ويتجمهرون عليها، بل قد تقام الصلاة، وما زال الشباب حولها يقرأون، ويضيعون تكبيرة الإحرام، وبعضهم من يضيع متابعة الإمام في الفاتحة، فإذا ركع الإمام جاء مسرعا ليلتحق بالجماعة، وعند الانتهاء من الصلاة، سرعان ما يخرجون ليلتفوا حولها لقرائتها ويخترقون الصفوف الخلفية المتممة للصلاة مع تشويشهم على المتأخرين، ومع عرقلة خروج المصلين من المسجد بعد انتهاء الصلاة.

وهذه الملصقات ينفق عليها الأموال الكثيرة، والوقت الكثير لكتابتها بالألوان، وهذا العمل ينافي آداب المسجد من صيانتها والحفاظ عليها من العبث والزخرفة، بالإضافة أنها إذا أزيلت تركت أثرا سيئا على جدران المساجد، هذا بالإضافة إلى الخلافات والنزاعات التي تحصل بسببها من الجماعات الإسلامية، الكل منها يحاول أن يزيل

---

(1) كدعوة لإضراب أو مسيرة شعبية أو الحديث في بعض القادة أو تحليل خبر سياسي.

ملصقات الجماعة الأخرى ولو باستخدام آلات حادة مما يجعل ثغرات في جدران المسجد.

وهذه الملصقات تتغير على حسب الأحوال والظروف السياسية، أحيانا تتغير أسبوعيا، وأحيانا في وسط الأسبوع، وهكذا، والويل ثم الويل لمن يتعرض لها بسوء.

5. لعبة كرة القدم (1)

بعض الدعاة يخلطون بين الوسائل الدعوية، والوسائل الترفيهية، فجعلوا لعبة كرة القدم من الوسائل الدعوية - زعموا - والحقيقة أن لعبة كرة القدم من الوسائل الترفيهية المشروعة بحيث لا تتعدى على الأحكام الشرعية، إذا لا نعرف دليلا يحرمها، والأصل في الأشياء الإباحة، لكن هذه اللعبة قد أشغلت الكثير من المسلمين، بل الكثير منهم ضيعوا أوقاتهم في متابعتها والحديث فيها، بل بعضهم قد ضيع الواجبات والطاعات من أجل مشاهدة مباراة من المباريات قال الشيخ مشهور حسن سلمان - حفظه الله:-

«ويوم أن تقام مباراة بين فريقين لامعين، فكأن الحرب الضروس قد أعلنت، ورفعت لها الرايات، وانبرت لها الإذاعات، وهيئت لها الشاشات، وأعد المشجعون لها الأحجار، والسكاكين، والطبول، والمزامير، والأناشيد

الجماعية، والهتافات القوية.

(1) هذه اللعبة يلعبها الشباب والفتيات بألبسة قصيرة، والمستقيمون من الشباب بسراويل طويلة.

وما أن تنجلي المعركة الحامية عن هزيمة أحد الفريقين، حتى ينتقل ميدان المعركة من ساحات الملعب ليكون ميدانها في البيوت، والمدارس، والدواوين، ومكاتب الموظفين، والمقاهي، وفي المجتمع الصغير، والمجتمع الكبير، وتسفر المعركة أخيرا عن سقوط ضحايا من الجانبين، وما أن تهدأ حدتها وتنجلي غمرتها حتى تبدأ معركة أخرى بمباراة ثانية ... وهلم جرا، وإذا رفعت صوت المنطق لتناقش أحد هؤلاء المصابين بالهوس الكروي قال لك بملء شدقيه: «إنني رياضي»!!

هذه قصتنا مع كرة القدم - اللعبة المفترى عليها - وهذا وجه اللعبة المزيف كما يراه شبابنا.

وأما الوجه الحقيقي لهذه اللعبة، فإننا – إذا فهمنا مقاصد الإسلام، ومنهجه في بناء المجتمعات - نجد كرة القدم من الألعاب التي يزكيها الإسلام، وتزكيها تعاليمه، فهي مدرسة تعلم دروس في التجميع لا في التشتيت، وفي الوحدة لا في التفرق، وفي الود لا في التباغض والعداوة.

اللعبة التي تؤكد أن الأهداف لا يمكن أن تحقق إلا بالروح الجماعية وأن الفرد بنفسه كثير بإخوانه» (1)

قلت: هل ما نراه اليوم من مشاهدي كرة القدم التجميع، أم التعصب لكل فريق، وهل الخلافات التي تسببها هذه اللعبة من الوحدة؟ وهل الضرب والتكسير والتخريب

---

(1) كرة القدم بين المصالح والمفاسد م 14 -16.

من مشجعي هذه اللعبة من الود؟ وللأسف الشديد لم نستغل هذه اللعبة في تقوية البدن، بل تعدى الأمر إلى طغيانا على الواجبات الشرعية.

وقد ذكر الشيخ -حفظه الله- بعض أضرار كرة القدم، نقتصر على أهمها:

«إن في لعب كرة القدم صدا للمتفرجين الذين تصل أعدادهم إلى مئات الألوف، عن ذكر الله، وعن الصلاة [1] وهذا أمر معروف عند الناس عامتهم وخاصتهم، وتعاطي ما يصد عن ذكر الله، وعن الصلاة حرام.

فكم سمعنا عن أناس ممن يتابعون مباريات كأس العالم، ألم يستيقظون في النصف الأخير من الليل، ليشاهدوا المباريات على التلفاز» وتفوتهم صلاة الفجر؟! وكم من المصلين فاتتهم الصلاة في الجماعات [2] بسبب جلوسهم أمام الشاشات؟! والأدهى من ذلك كله ما يقع فيه أولئك النفر مما يسافرون من قطر إلى قطر، أو ينتقلون من مدينة إلى أخرى لحضور «مباراة» وقد تكون في وقت صلاة الجمعة».

---

(1) إن مشجعي هذه اللعبة تراهم يتوافدون ويجتمعون في النوادي من قبل صلاة العصر، حي انتهاء المباراة ويكون هذا عند غروب الشمس أي أنهم لم يصلوا العصر، إلا القليل منهم.

(2) للأسف الشديد أن بعض الجماعات الإسلامية أشرفت على مباراة لكرة القدم، وبعد انتهائها، توافد بعضهم لصلاة المغرب، وكان هذا بعد انقضاء الصلاة جماعة، فكلما تأتي مجموعة منهم صلوا جماعة في المسجد، وهكذا، حتى أن المؤذن لصلاة العشاء، وهم يصلون صلاة المغرب، أي لم يصلوها خلف الإمام الراتب، ولأهل العلم أقوال في حكم تكرار الجماعة في المسجد الواحد.

قلت: فهل بعد هذه الأضرار والمفاسد، نقول: إن هذه اللعبة وسيلة من وسائل الدعوة، فأية وسيلة شرعية تبيح لهم ترك الصلاة جماعة، وأحيانا يتركون الصلاة بالكلية، أن تكون وسيلة دعوية! فهذا لا يقبله عقل، فنعود ونقول إن الأصل في هذه اللعبة الإباحة، لكن إذا ترتب عليها هذه الأضرار والمفاسد، فإنها تدخل في التحريم والأشياء المحرمة لا تكون وسيلة شرعية.

ثم قال الشيخ - حفظه الله -: [1]«تنبه أخيرا إلى أن (كرة القدم) لا ينبغي أن تتخذ وسيلة للدعوة إلى الله تعالى، كشأن من يجيز الكذب، وهجر للمسلمين، وإيذاءهم لمصلحة الدعوة - زعموا- !! لأن الدين إن لم يقم بالجد، فمن الاستحالة بمكان أن يقوم باللعب، قال تعالى: { خُذُواْ مَا آتَيْنَاكُم بِقُوَّةٍ } [البقرة:63]

بل، وهل خلقنا الله - سبحانه وتعالى - من أجل الرياضة واللعب؟! أم إنه خلقنا عبثا وباطلا؟؟ سبحانه.

وقد تقدم معك [2] أضرار لعبة كرة القدم وشرورها، وأنها سلبت الأمة أموالها وطاقتها، وفرقتها شيعة وأحزابا [3]، فكل ناد و كل لاعب له مؤيدوه ومناصروه،

---

(1) كرة القدم بين المصالح والمفاسد م 45 -46.

(2) كرة القدم بين المصالح والمفاسد ص20 - 41.

(3) حقا أنك تجد في البيت الواحد من يشجع فريقا على فريق، وكل فريق له مؤيدوه.

ومحبوه، وشانئوه[1] وصدق الله العظيم {فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} [الحج:46]

6. البرلمانات

ظن بعض الدعاة أن الدخول في البرلمانات، وسيلة من وسائل الدعوة للضغط على الحكومات بواسطة الحصول على بعض المقاعد لتغيير واقع الحكومات، وتوجيهها إلى إقامة الدولة الإسلامية - زعموا -، وقد تكلم بعض العلماء في حكم الدخول في البرلمانات منهم:

المحدث ناصر الدين الألباني رحمه الله

سئل رحمه الله: ما الحكم الشرعي في الانتخابات التشريعية «ما يسمى بالبرلمان» التي نسعى [2] من خلالها إلى إقامة الدولة الإسلامية، وإقامة الخلافة الراشدة؟

الجواب: «إن أسعد ما يكون المسلمون في بلادهم يوم ترفع راية «لا إله إلا الله» وأن يكون الحكم فيها بما أنزل الله، وإن مما لا شك فيه أن على المسلمين جميعا - كل حسب استطاعته - أن يسعوا إلى إقامة الدولة المسلمة التي تحكم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وعلى منهج السلف الصالح، ومن المقطوع به عند كل باحث مسلم أن ذلك لا يمكن أن يتحقق إلا بالعلم النافع، والعمل الصالح، وأول ذلك أن يقوم جماعة من العلماء بأمرين هامين جدا:

---

(1) وهذا لا يقتصر على الشباب فقط، بل تحد من النساء والفتيات من ناصر ويؤيد فريقا علي فريق.

(2) هذه الأسئلة من جبهة الإنقاذ الجزائرية.

الأول: تقدم العلم النافع إلى من حولهم المسلمين، ولا سبيل إلى ذلك إلا بأن يقوموا بتصفية العلم الذي توارثوه مما دخل فيه من الشركات والوثنيات حتى صار أكثرهم لا يعرفون معنى قولهم: «لا إله إلا الله»، وأن هذه الكلمة الطيبة تستلزم توحيد الله في عبادته تعالى وحده لا شريك له، فلا يستغاث إلا به، ولا يذبح ولا ينذر إلا له، وأن لا يعبدوه تعالى إلا الله على لسان رسول الله ﷺ وأن هذا من مستلزمات قولهم (محمد رسول الله)، وهذا يقتضيهم أن يصفوا كتب الفقه مما فيها من الآراء والاجتهادات المخالفة للسنة الصحيحة حتى تكون عبادتهم مقبولة، وذلك يستلزم تصفية السنة مما دخل فيها على مر الأيام من الأحاديث الضعيفة والموضوعة، كما يستلزم ذلك تصفية السلوك من الانحرافات الموجودة في الطرق الصوفية، والغلو في العبادة والزهد، إلى غير ذلك من الأمور التي تنافي العلم النافع.

والآخر: أن يربوا أنفسهم وذويهم، ومن حولهم من المسلمين على هذا العلم النافع، ويومئذ يكون علمهم نافعا وعملهم صالحا، كما قال تعالى: { فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاء رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا } [الكهف:110]

، وحينئذ إذا قام جماعة من المسلمين على هذه التصفية والتربية الشرعية، لأنهم يعلمون أن النبي ﷺ قد جاء بشريعة كاملة بمقاصدها ووسائلها ومن مقاصدها مثلا النهي عن التشبه بالكفار وتبين وسائلهم ونظمهم التي تتناسب مع تقاليدهم وعاداتهم، ومنها اختيار الحكام والنواب بطريقة الانتخابات، فإن هذه الوسيلة تتناسب مع كفرهم

وجهلهم الذي لا يفرق بين الإيمان والكفر، ولا بين الصالح والطالح، ولا بين الذكر والأنثى، [1] وربنا يقول: { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِين * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون } [القلم:36]

ويقول: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَى } [آل عمران:36]

وكذلك يعلمون أن النبي ﷺ إنما بدأ بإقامة الدولة المسلمة بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من عبادة الطواغيت، وتربية من يستجيب لدعوته على الأحكام الشرعية حتى صاروا كالجسد الواحد إذا اشتكي منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى كما جاء في الحديث الصحيح، ولم يكن فيهم من يصر على ارتكاب الموبقات والربا والزنا والسرقات إلا ما ندر.

فمن كان يريد أن يقيم الدولة المسلمة حقا لا يكتل الناس ولا يجمعهم على ما بينهم من خلاف فكري وتربوي كما هو شأن الأحزاب الإسلامية المعروفة اليوم، بل لا بد من توحيد أفكارهم ومفاهيمهم على الأصول الإسلامية الصحيحة الكتاب والسنة وعلى منهج السلف الصالح كما تقدم { وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُون * بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيم } [الروم:4-5]

، فمن أعرض عن هذا المنهج من إقامة الدولة المسلمة وسلك سبيل الكفار في إقامة دولتهم إنما هو «**كالمستجير بالرمضاء من النار**»!

---

(1) حقا إن البرلمانات تجمع بين المسلم والكافر، وبين المسلم المحافظ وبين الفاجر الفاسق، وبين المرأة الفاجرة والرجل الصالح-

وحسبه خطأ - إن لم أقل: إثما – أنه خالف هديه ﷺ، ولم يتخذه أسوة والله ﷻ يقول:

{ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:21]

وسئل أيضا: ما الحكم الشرعي في النصرة والتأييد المتعلقين بالمسألة المشار إليها سابقا **«الانتخابات التشريعية»**.

الجواب: في الوقت الذي لا ننصح أحدا من إخواننا المسلمين أن يرشح نفسه ليكون نائبا في برلمان لا يحكم بما أنزل الله، وإن كان قد نص في دستوره **«دين الدولة الإسلام»** فإن هذا النص قد ثبت عمليا أنه وضع التخدير أعضاء النواب الطيبي القلوب!! ذلك لأنه لا يستطيع أن يغير شيئا من مواد الدستور المخالفة للإسلام، كما ثبت عمليا في بعض البلاد التي في دستورها النص المذكور.

هذا إن لم يتورط مع الزمن أن يقر بعض الأحكام المخالفة للإسلام بدعوى أن الوقت لم يحن بعد لتغيرها كما رأينا في بعض البلاد، يغير النائب زيه الإسلامي، ويتزيا بالزي الغربي مسايرة منه لسائر النواب!

فدخل البرلمان ليصلح غيره فأفسد نفسه، وأول الغيث قطرة ثم ينهمر!

لذلك فنحن لا ننصح أحدا أن يرشح نفسه، ولكن لا أرى ما يمنع الشعب المسلم إذا كان في المرشحين من يعادي الإسلام وفيهم مرشحون إسلاميون من أحزاب مختلفة المناهج، فننصح – والحالة هذه - كل مسلم أن ينتخب من الإسلاميين فقط، ومن هو أقرب إلى المنهج العلمي الصحيح الذي تقدم بيانه.

أقول هذا - وإن كنت أعتقد أن هذا الترشيح والانتخابات لا يحقق الهدف المنشود كما تقدم بيانه، - من باب تقليل الشر، أو من باب دفع المفسدة الكبرى بالمفسدة الصغرى كما يقول الفقهاء»[1]

فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله

سئل رحمه الله [2]: أرى من الواجب الدخول في الانتخابات، وأنه لا يجوز لأهل الخير أن يتخلوا عنها، لأنهم إذا تخلوا عنها، دخل فيها من لا خير فيه، ولأن وجود أهل الخير في المجالس الحكومية فيه خير، لأنه سيكون لهم رأي يرشدون به في هذه المجالس، فما رأيكم في الانتخابات، وكيف الرد على من يقول بجوازها من الكتاب والسنة، وما الدليل على تحريمها؟

الجواب: «يقول رب العزة في كتابه الكريم: { أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُون } [السجدة:18] والعالم الفاضل، والخمار، والشيوعي، صوتهم واحد، يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: { أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَّن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُم وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُون } [الجاثية:21] ويقول سبحانه وتعالى: { أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّار } [ص:28]

---

(1) انظر مجلة الأصالة العدد الرابع ص 18-20.

(2) كان السؤال من الإخوة السودانيين.

ويقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: { وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى } [آل عمران:36] فصاحب الفضيلة صوته كصوت المرأة الفاجرة، ويقول سبحانه وتعالى: { تِلْكَ إِذاً قِسْمَةٌ ضِيزَى } [النجم:22] حين جعلوا الملائكة بنات الله، ولهم أنفسهم الذكران.

وهل كانت الانتخابات على عهد الرسول ﷺ أو على عهد أبي بكر، وعمر، أم الدولة الأموية والعباسية، وهكذا.

وقد انتهى الحال في التصويت في بلاد الكفر على إباحة اللواط، وأن يتزوج الرجل بالرجل، وعلي إباحة الخمر والبنوك الربوية، وكل شيء يمكن أن يجرى تحت التصويتات والانتخابات، ورب العزة يقول في كتابه الكريم { أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ } [المائدة:50] فأنت مطالب بالاستقامة، والله سبحانه وتعالى يقول لنبيه محمد ﷺ : { فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ } [هود:112] ويقول أيضا: { فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ } [فصلت:6] فنحن مأمورون بالاستقامة على الكتاب والسنة، يقول سبحانه وتعالى: { وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلا * إِذاً لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا } [الإسراء:74-75]

وما هي عاقبة الانتخابات في أفغانستان؟ وما هي ثمرات الانتخابات في كثير من البلدان الإسلامية؟ وأعظم من هذا أن الانتخابات وسيلة إلى الديمقراطية [1]

---

(1) أسئلة الشباب السوداني ص 155-156.

وقال في موضــع آخر: «**لماذا نحرم الانتخابات؟ نحرم الانتخابات لأنها تعطي الكافر اليمن من الحقوق والواجبات ما للمســلم اليمني، لا فرق بين المســلم والكافر، ولهذا نحرمها من هذا الباب**» (1)

وقال: «**ولماذا نحرم المجالس النيابية؟ لأن فيها يستهزأ بكتاب الله وبسـنة رسـوله الله ﷺ، والحكم فيها للكثرة، وليس لله ﷻ، وفيها كتاب الله رأي من الآراء...** » (2)

وهناك مقال نشر حول موضوع التعددية والانتخابات السياسية لشيخنا محمد ناصر الدين الألباني، ومقبل بن هادي الوادعي، وآخرين:

* التعددية

وهي فرع عن الديمقراطية، وهي قسمان:

تعددية سياسية.

وتعددية فكرية عقائدية.

أما التعددية العقائلية: فمعناها أن الناس في ظل النظام الديمقراطي لهم الحرية في أن يعتقدوا ما يشاءون، ويمكنهم الخروج من الإسلام إلى أي ملة ونحلة أخرى، حتى ولو كانت يهودية أو نصرانية أو شيوعية أو اشتراكية أو علمانية، وتلك هي الردة بعينها.

قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ } [محمد:25] وقال تعالى : { يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ

---

(1) حرمة الانتخابات ص198.

(2) نفس المصدر ص198-

وَكُفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ اللّهِ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلاَ يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّىَ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُواْ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَأُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ } [البقرة:217]

وقال: { وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ } [آل عمران:85]

وأما التعددية السـياسـية، فهي فتح المجال للأحزاب كافة بغض النظر عن أفكارهم وعقائدها لتحكم المسلمين عن طريق الانتخابات، وهذا فيه مساواة بين المسلم وغيره. وهذا خلاف الأدلة القطعية التي حرم أن يتولى المسلمين غيرهم، قال تعالى: { وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلا } [النساء:141] وقال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ } [النساء:59] وقال تعالى : { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ } [القلم:36] ولأن التعددية تؤدي إلى التفرق والاختلاف الموجب لعذاب الله، قال تعالى: { وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَاخْتَلَفُواْ مِن بَعْدِ مَا جَاءهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ } [آل عمران:105]، وموجب أيضا لبراءة الله ورسوله ﷺ ممن يفعل هذا، قال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ } [الأنعام:159]

ومن حـاول أن يجعـل هـذا التعـددية تعـددية برامج لا منـاهج أو على غرار الخلاف المذهبي بين علماء الإسـلام، فـالواقع يرده، ولأن برنـامج كـل حزب منبثق من فكره، وعقيدته، فبرنامج الاشتراكي منطلق من مبادئ الاشتراكية، والعلماني الديمقراطي من مبادئ الديمقراطية...وهلم جرا.[1]

---

(1) مجلة الأصالة العدد الثاني ص 18 - 19 (بتصرف يسير).

7. الانتخابات السياسية

فهي بالطريقة الديمقراطية حرام -أيضاً- لا تجوز، لأنه لا يشترط في المنتخب والناخب الصفات الشرعية لمن يستحق الولاية العامة أو الخاصة، فهي هذه الطريقة تؤدي إلى أن يتولى حكم المسلمين من لا يجوز توليته ولا استشارته، ولأن المقصود بالمنتخب أن يكون عضوا في مجلس النواب التشريعي، والمجالس النيابية التي لا تحتكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإنما تتحاكم إلى الأكثرية فهي مجالس طاغوتية لا يجوز الاعتراف بها فضلا عن أن يسعى المسلم إلى إنشائها ويتعاون في إيجادها[1] وهي تحارب شرع الله، ولأنها طريقة غربية من صنع اليهود والنصارى ولا يجوز شرعا التشبه بهم.

ومن يقول: إنه لم يثبت في الشرع طريقة معينة في اختيار الحاكم فمن ثم فلا مانع من الانتخابات.

يقال له: ليس صحيحا أنه لم يثبت ذلك في الشرع فما فعله الصحابة من كيفيات الاختيار للحاكم فكلها طرق شرعية [2]

وأما طريقة الأحزاب السياسية في المنع منها أنه لا يوضع لها ضوابط، وتؤدي إلى تولية غير المسلم، وليس أحد من الفقهاء يقول بجواز ذلك [3]

فتوى أخرى للمحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

---

(1) فاعتبروا يا دعاة البرلمانات.

(2) راجع الأحكام السلطانية الماوردي.

(3) مجلة الأصالة العدد الثاني ص 20 – 22.

السائل: ما حكم دخول الإسلاميين البرلمان - برلمان الدولة؟ (1)

الشيخ: طبعا نحن لا نرى هذا جائزا، بل هو إضاعة للجهود الإسلامية فيما لا فائدة من دخولهم في البرلمان، لأن أول ذلك: هذه البرلمانات -كما هو معلوم- تحكم بغير ما أنزل الله.

وثانيا: هؤلاء الذين يدخلون هذه البرلمانات قد يدخل بعضهم بنية طيبة وصالحة، يظنون أن بإمكانهم أن يغيروا من النظام الحاكم، لكنهم يتناسون -إن لم نقل: ينسون- حقيقة مرة، وهي أن هؤلاء الذين يدخلون في البرلمان هم محكومون وليسوا حكاما، وإذ الأمر كذلك فهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئا، بل هم سيضطرون إلى مسايرة النظام الحاكم، ولو كان مخالفا للإسلام!

ونحن الآن هنا نعيش في مشكلة ما يسمى بالميثاق الوطني، ولعلكم سمعتم، أو لعلكم ابتليتم أيضا بما ابتلينا نحن به؟

فالميثاق الوطني معناه الاعتراف بكل الأديان والأحزاب الكافرة التي تعارض الإسلام، والاعتراف بوجودها في البرلمان، وحينئذ ستقوم معارك كلامية وجدلية في البرلمان، وتؤخذ القضية بالتصويت، وحينئذ الذي صوته أكثر يكون هو المنتصر ولو كان مبطلا.

لهذا لا يجوز أن يدخل الشباب المسلم في البرلمان بقصد إصلاح النظام، لا يكون إصلاح النظام بهذه الطريقة المبتدعة، من أصلها هي بدعة، لأنكم تعلمون: نظام

---

(1) سلسلة الهدى والنور، شريط سمعي برقم: (440/1) (بتصرف يسير).

البرلمان قائم على أساس الانتخابات، والانتخابات أيضا تشمل الرجل والمرأة، ومن هناك يبدأ بطلان هذا النظام ومخالفته للإسلام.

ثم نظام الانتخاب يشمل الصالح ويشمل الطالح، فلا فرق بين الصالح والطالح، لكل منهما حق أن ينتخب وأن ينتخب!!

ثم لا فرق في هذه الأجناس كلها بين العالم وبين الجاهل، بينما الإسلام لا يريد أن يكون بمجلس البرلمان الذي هو مجلس الشورى إلا أن يكون من نخبة الشعب المسلم علما وصلاح ورجالا، وليس نساء!

فإذن من المخالفة من أول خطوة في موضوع البرلمان القائم على الانتخاب الذي يتناسب مع الكفار - نظام الكفار - ولا يتناسب مع نظام الإسلام.

وعلى هذا فيجب أن يظل المسلمون يعنون بالعلم النافع والعمل الصالح، وأن يربوا أنفسهم وشعوبهم على هذه التصفية والتربية، وأن يبتعدوا عن البرلمانات الجاهلية هذه»[1]

فهل بعد هذا البيان والتوضيح من أهل العلم على عدم جواز الدخول في البرلمانات التي لا تحكم بما أنزل الله.

8. المظاهرات والاعتصامات

يرى البعض من الدعاة، أن المظاهرات ضد النظام الحاكم وسيلة من وسائل الدعوة لتغيير هذا النظام بتأليب الشعب عليه، أو لإثارة الزعزعة ضد الحاكم، الذي يؤدي في النهاية إلى إسقاطه، ومحاكمته، أو هروبه، فحينئذ يسيطرون على دفة الحكم، وهذا لا يتم

(1) سلسلة الهدى والنور، شريط سمعي برقم: (1/440) (بتصرف يسير).

إلا بالمظاهرات التي تخلف القتل والدمار والتخريب من حرق المحلات والمؤسسات والدوائر الحكومية، وهذه المظاهرات لم تقتصر على الرجال فقط، بل يشارك فيها النساء، ظنا أن هذه الوسيلة تودي لإقامة الدولة الإسلامية - زعموا - وتناسوا ما يترتب على هذه الوسيلة البدعية من مفاسد وشرور تعود على الأمة بالدمار والهلاك، ولا ثمار لها إلا ضرب ومحاربة دعاة الحق.

وقد أفتى بعض أهل العلم بعدم شرعية هذه المظاهرات منهم - :

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

سئل رحمه الله في شعبان (1412) مدينة جدة من شريط سمعي:

هل المظاهرات الرجالية والنسائية ضد الحكم والولاة تعتبر وسيلة من وسائل الدعوة؟

وهل من يموت فيها يعتبر شهيد أو في سبيل الله؟

فأجاب: رحمه الله «لا أرى المظاهرات النسائية والرجالية من العلاج، ولكن أنا أرى أنها من أسباب الفتن ومن أسباب الشرور، ومن أسباب ظلم بعض الناس، والتعدي على بعض الناس بغير حق ولكن الأسباب الشرعية: المكاتبة والنصيحة والدعوة إلى الخير بالطرق الشرعية، شرحها أهل العلم وشرحها أصحاب رسول الله ﷺ، وأتباعه بإحسان: بالمكاتبة والمشافهة مع[1] ... ومع الأمير ومع السلطان، والاتصال به،

(1) كلمة غير مفهومة.

ومناصحته والمكاتبة له، دون التشهير على المنابر بأنه فعل كذا، وصار منه كذا، والله المستعان»[1]

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

سئل رحمه الله في محرم (1416) عما يأتي:

ما مدى شرعية ما يسمونه بالاعتصام في المساجد وهم - كما يزعمون -[2] يعتمدون على فتوى لكم في أحوال الجزائر سابقا أنها تجوز إن لم يكن فيها شغب ولا معارضة بسلاح أو شبهه، فما الحكم في نظركم؟ وما توجيهكم لنا؟

فأجاب:

«أما أنا فما أكثر ما يكذب علي! وأسأل الله أن يهدي من كذب علي وألا يعود لمثلها. والعجب من قوم يفعلون هذا، ولم يتفطنوا لما حصل في البلاد الأخرى التي سار شباها على مثل هذا المنوال! ماذا حصل؟ هل أنتجوا شيئا؟ بالأمس تقول إذاعة لندن: إن الذين قتلوا من الجزائريين في خلال ثلاث سنوات بلغوا أربعين ألفا! أربعون ألفا!! عدد كبير خسرهم المسلمون من أجل إحداث مثل هذه الفوضى!

والنار - كما تعلمون - أولها شرارة ثم تكون جحيما، لأن الناس إذا كره بعضهم بعضا وكرهوا ولاة أمورهم حملوا السلاح - ما الذي يمنعهم؟ - فيحصل الشر والفوضى،

---

(1) فتاوى العلماء الأكابر فيما أهدر من دماء في الجزائر ص 76.

(2) جبهة الإنقاذ بالجزائر.

وقد أمر النبي ﷺ من رأي من أميره شيئا يكرهه أن يصبر، وقال: «من مات على غير إمام مات ميتة جاهلية» والواجب علينا أن ننصح بقدر المستطاع، أما أن تظهر المبارزة والاحتجاجات فهذا خلاف هدي السلف، وقد علمتم الآن أن هذه الأمور لا تمت إلى الشريعة بصلة ولا إلى الإصلاح بصلة، ما هي إلا مضرة...

الخليفة المأمون قتل من العلماء الذين لم يقولوا بقوله في خلق القرآن، العلماء وأجبر الناس على أن يقولوا بهذا القول الباطل، ما سمعنا عن الإمام أحمد وغيره من الأئمة أن أحدا منهم اعتصم في أي مسجد أبدا، ولا سمعنا أنهم كانوا ينشرون معايبه من أجل أن يحمل الناس عليه الحقد والبغضاء والكراهية...

ولا نؤيد المظاهرات أو الاعتصامات أو ما أشبه ذلك، لا نؤيدها إطلاقا، ويمكن الإصلاح بدونها، لكن لا بد أن هناك أصابع خفية داخلية أو خارجية [1] تحاول بث مثل هذه الأمور [2] وسئل أيضا: [3]

بعد الإضراب يقدم الذين أضربوا مطالبهم، وفي حالة عدم الاستجابة لهذه المطالب، هل يجوز مواجهة النظام بتفجير ثورة شعبية؟

فأجاب: «لا أرى أن تقام ثورة شعبية، في هذه الحال لأن القوة المادية بيد الحكومة كما هو معروف والثورة الشعبية ليس بيدها إلا سكين المطبخ وعصا الراعي، وهذا لا يقاوم

---

(1) حقا هناك عناصر مدسوسة تستغل هذه المظاهرات لتشويه سمعة الإسلام من قتل وتخريب.

(2) جريدة المسلمون عدد (540) ص 10 - الجمعة (11 المحرم 1416هـ).

(3) بعدما سئل عن حكم الأحزاب من العمل.

الدبابات والأسلحة لكن يمكن أن يتوصل إلى هذا من طريق آخر إذا تمت الشروط السابقة [1]، ولا ينبغي أن نستعجل الأمر، لأن أي بلد عاش سنين طويلة مع الاستعمار لا يمكن أن يتحول بين عشية وضحاها إلى بلد إسلامي، بل لا بد أن تتخذ طول النفس لنيل المآرب.

والإنسان إذا بين قصرا فقد أسس، سواء سكنه أو فارق الدنيا قبل أن يسكنه، فالمهم أن يبني الصرح الإسلامي وإن لم يتحقق المراد إلا بعد سنوات، فالذي أرى ألا تتعجل في مثل هذه الأمور، ولا أن نشير أو نفجر ثورة شعبية لأن المسألة خطيرة، وتعرفون أن الثورة الشعبية غالبها غوغائية لا تثبت على شيء، لو تأتي القوات إلى حي من الأحياء وتقضي على بعضه لكان كل الآخرين يتراجعون عما هم عليه [2]

---

(1) الشرط الأول: أن تروا بمعنى أن تعلموا علما يقينية بأن السلطة ارتكبت كفر.

الشرط الثاني: أن يكون الذي ارتكبته السلطة كفرا فأما الفسق فلا يجوز الخروج عليهم بسببه.

الشرط الثالث: بوح أي معلنا صريحا لا يحتمل التأويل.

الشرط الرابع: عندكم فيه من الله برهان قاطع من دلالة الكتاب والسنة أو إجماع الأمة.

فهذه أربعة شروط.

الشرط الخامس: يؤخذ من الأصول العامة من الدين الإسلامي، وهو قدرة هؤلاء المعارضين على إسقاط السلطة.

قلت: وهذه الشروط الخمسة لم يتوفر أي شرط منها عند من يرى جواز الخروج على الحكام.

(2) الصحوة الإسلامية توجيهات وضوابط ص 169-170.

وقال أيضا: «**فإن المظاهرات أمر حادث لم يكن معروفا في عهد النبي ﷺ، ولا في عهد الخلفاء الراشدين، ولا عهد الصحابة رضي الله عنهم ثم إن فيه من الفوضى والشغب ما يجعله أمرا ممنوعا حيث يحصل فيه تكسير الزجاج والأبواب وغيرها.. ويحصل فيه اختلاط الرجال بالنساء، والشباب بالشيوخ، وما أشبهه من المفاسد والمنكرات، وأما مسألة الضغط على الحكومة فهي إن كانت مسلمة فيكفيها واعظا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذا خير ما يعرض على المسلم، وإن كانت كافرة فإنها لا تبالي بهؤلاء «المتظاهرين» وسوف تحاملهم ظاهرا، وهي على ما هي عليه من الشر في الباطن، لذلك نرى أن المظاهرات أمر منكر، وأما قولهم: إن هذه المظاهرات سلمية، فهي قد تكون سلمية في أول الأمر أو في أول مرة، ثم تكون تخريبية، وأنصح الشباب أن يتبعوا سبيل من سلف، فإن الله - سبحانه وتعالى - أثنى على المهاجرين والأنصار، وأثنى على الذين اتبعوهم بإحسان**» (1)

فضيلة الشيخ صالح بن غصون رحمه الله

سئل رحمه الله هذا السؤال: في السنتين الماضيتين نسمع بعض الدعاة يدندنون حول مسألة وسائل الدعوة، وإنكار المنكر، ويدخلون فيها المظاهرات، والاغتيالات، والمسيرات، وربما أدخلها بعضهم في باب الجهاد!

أ) فنرجو منكم بيان ما إذا كانت هذه الأمور من الوسائل الشرعية؟

أم تدخل في نطاق البدع المذمومة والوسائل الممنوعة؟

---

(1) الجواب الأبهر - لفؤاد سراج ص 75.

ب) نرجو توضيح المعاملة الشرعية لمن يدعو إلى هذه الأعمال، ومن يقوم بها ويدعو إليها؟

فأجاب ﵀: «الحمد لله، معروف أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة والإرشاد من أصل دين الله ﷻولكن الله ﷻ قال في محكم كتابه العزيز { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل:125] ولما أرسل ﷻ موسى وهارون إلى فرعون قال : { فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه:44]

والنبي ﷺ جاء بالحكمة وأمر بأن يسلك الداعية الحكمة وأن يتحلى بالصبر، هذا في القرآن العزيز في سورة العصر: { وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ } [العصر:3] فالداعي إلى الله ﷻ والأمر بالمعروف والناهي عن المنكر عليه أن يتحلى بالصبر، وعليه أن يحتسب الأجر والثواب، وعليه أيضا أن يتحمل ما قد يسمع أو قد يناله في سبيل دعوته، وأما أن الإنسان يسلك مسلك العنف، أو أن يسلك مسلك – والعياذ بالله – أذى الناس، أو مسلك التشويش، أو مسلك الخلافات والنزاعات وتفريق الكلمة، فهذه أمور شيطانية، وهي أصل دعوة الخوارج، هذه أصل دعوة الخوارج، هم الذين ينكرون المنكر بالسلاح، وينكرون الأمور التي لا بروفها وتخالف معتقداتهم بالقتال، وبسفك الدماء، وبتكفير الناس وما إلى ذلك من أمور ففرق بين دعوة أصحاب النبي ﷺ وسلفنا الصالح، وبين دعوة الخوارج، ومن هج منهجهم وحري بحراهم، دعوة الصحابة بالحكمة وبالموعظة وببيان الحق، وبالصبر، وبالتحلي واحتساب الأجر والثواب، ودعوة الخوارج بقتال الناس، وسفك دمائهم، وتكفيرهم،

وتفريق الكلمة وتمزيق صفوف المسلمين، هذه أعمال خبيثة، وأعمال محدثة، والأولى الذين يدعون إلى هذه الأمور يجانبون ويبعد عنهم، ويساء فيهم الظن، هؤلاء فرقوا كلمة المسلمين، الجماعة رحمة والفرقة نقمة وعذاب - والعياذ بالله -. ولو اجتمع أهل بلد واحد على الخير، واجتمعوا على كلمة واحدة لكان لهم مكانة وكانت لهم هيبة، لكن أهل البلد - الآن - أحزاب وشيع، تمزقوا واختلفوا، ودخل عليهم الأعداء من أنفسهم، ومن بعضهم على بعض، هذا مسلك بدعي ومسلك خبيث، ومسلك مثلما تقدم أن جاء عن طريق الذين شقوا العصا، والذين قاتلوا أمير المؤمنين علي رضي الله عنه ومن معه من الصحابة وأهل بيعة الرضوان، قاتلوه يريدون الإصلاح!! وهم رأس الفساد، ورأس البدعة، ورأس الشقاق، فهم الذين فرقوا كلمة المسلمين، وأضعفوا جانب المسلمين، وهكذا أيضا حتى الذين يقول كما ويتبناها ويحسنها، فهذا سيي المعتقد ويجب أن يبتعد عنه.

واعلم - والعياذ بالله - أنه شخص ضار لأمته ولجلسائه، ولمن هو من بينهم، والكلمة الحق أن يكون المسلم عامل بناء، **«وداعيا للخير، وملتمسا» للخير تماما، ويقول الحق، ويدعو بالتي هي أحسن، وباللين ويحسن الظن بإخوانه ويعلم أن الكمال منال صعب، وأن المعصوم هو النبي ﷺ وأن لو ذهب هؤلاء لم يأت أحسن منهم، فلو ذهب هؤلاء الناس الموجودون – سواء منهم الحكام أم المسئولون أم طلبة العلم أم الشعب - لو ذهب هذا كله، شعب أي بلد لأتى أسوأ منه، فإنه لا يأتي عام إلا والذي بعده شر منه، فالذي يريد من الناس أن يصلوا إلى درجة الكمال، أو أن يكونوا معصومين من الأخطاء والسيئات، هذا إنسان ضال، هؤلاء هم الخوارج، هؤلاء هم الذين فرقوا كلمة**

الناس وآذوهم هذه مقاصد المناوئين لأهل السنة والجماعة بالبدع من الرافضة والخوارج والمعتزلة، وسائر ألوان أهل الشر والبدع»(1)

فضيلة الشيخ أحمد النجمي - حفظه الله-

قال - حفظه الله -: «تنظيم المسيرات، والتظاهرات، والإسلام لا يعترف بهذا الصنيع ولا يقره، بل هو محدث، من عمل الكفار، وقد انتقل من عندهم إلينا، أفكلما عمل الكفار عملا جاريناهم فيه وتابعناهم عليه!!

إن الإسلام لا ينتشر بالمسيرات والتظاهرات، ولكن ينتصر بالجهاد الذي يكون مبنيا على العقيدة الصحيحة والطريق التي سنها محمد بن عبد الله، ولقد أبتلي الرسل وأتباعهم بأنواع من الابتلاءات فلم يؤمروا إلا بالصبر، فهذا موسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل رغم ما كانوا يلاقونه من فرعون وقومه، من تقتيل الذكور من المواليد، واستحياء الإناث – يقول لهم ما أخبر الله عز وجل به عنه، قال موسى لقومه: { قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [الأعراف:128]

وهذا رسول الله لا يقول لبعض أصحابه لما شكوا إليه ما يلاقونه من المشركين: **«إن من كان قبلكم كان يؤتى بالرجل منهم فيوضع المنشار في مفرقه حتى يشق ما بين رجليه ما يصده ذلك عن دينه، وليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الرجل من صنعاء إلى**

---

(1) مجلة سفينة النجاة - العدد الثاني – يناير 1997م (بتصرف يسير).

حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون» فهو لم يأمر أصحابه بمظاهرات، ولا اغتيالات»[1]

فضيلة الشيخ زيد بن محمد المدخلي - حفظه الله–

قال - حفظه الله -: «ولنعلم جميعا أن أسلوب المظاهرات بصفتها المعروفة اليوم - ضد الحكام وإن كانوا علمانيين، وتدبير الاغتيالات لهم، أو لرجال حكوماتهم، والتخطيط للانقلابات للإطاحة بهم، وأخذ الحكم منهم، والتفجير في المنشآت والاعتداء بالقتل على شرطهم وغير ذلك مما هو معلوم لا يلتقي مع منهج السلف لا في الوسائل، ولا في الغايات، وإن كان بدافع الغيرة على الإسلام، فكم رأينا وسمعنا من المآسي والويلات التي حقت بمن سلكوا هذه المسالك بل تجاوزته إلى سواهم من المسلمين ممن لم يكن مشاركا في تلك التصرفات والله المستعان »[2]. وقال أيضا: «... وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا مسوغ يوجد لمن يريد أن يخترع أساليب جديدة، ويبتكر طرائق عديدة كما أسلفت من أسلوب المظاهرات، وطرائق الاغتيالات والتفجير في المرافق والمنشآت وتحزيب الأحزاب، وتنظيم المنظمات، إذا فعلوا ذلك لم يحققوا من المصالح شيئا لا لأنفسهم، ولا لغيرهم، ولا للدعوة بل إنه لينتج عن صنيعهم فشل ذريع، وفوضي مؤلمة، وعواقب في شأن الدعوة والأعراض والدماء والأموال وخيمة»[3]

---

(1) المورد العذب الزلال ص228.

(2) الأدوية السديدة على الأسئلة الرشيدة 3 / 208.

(3) نفس المصدر 5/95.

9. الاغتيالات وإثارة القلاقل

يلجأ بعض دعاة الأحزاب إلى استخدام وسيلة الاغتيالات التي يترتب عليها إثارة القلاقل في الأمة، ظنا منهم أن هذه الوسيلة شرعية للتخلص من الحاكم الظالم أو الكافر، ومن ثم توليهم للحكم، ولا يعلم هؤلاء أن هذه الوسيلة غير شرعية تضر بالدعوة والدعاة، ولا تحقق هدفا شرعيا لأنها وسيلة بدعية، وقد حذر منها العلماء منهم:

سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله

قال رحمه الله: «**فالأسلوب الحسن من أعظم الوسائل لقبول الحق، والأسلوب السيئ العنيف من أخطر الوسائل في رد الحق وعدم قبوله، وإثارة القلاقل والظلم والعدوان والمضاربات ويلحق بهذا الباب ما يفعله بعض الناس من المظاهرات التي قد تسبب شرا عظيما على الدعاة فالمسيرات في الشوارع، والهتافات ليست هي الطريق للإصلاح والدعوة فالطريق الصحيح بالزيارة والمكاتبات بالتي هي أحسن، فتنصح الرئيس، والأمير، وشيخ القبيلة بهذا الطريق لا بالعنف والمظاهرة، فالنبي ﷺ مكث في مكة ثلاث عشرة سنة لم يستعمل المظاهرات ولا المسيرات، ولم يهدد الناس بتخريب أموالهم واغتيالهم، ولا شك أن هذا الأسلوب يضر بالدعوة والدعاة، ويمنع انتشارها، ويحمل الرؤساء والكبار على معاداتها ومضادتها بكل ممكن. فهم يريدون الخير بهذا الأسلوب،**

لكن يحصل به ضده، فكون الداعي إلى الله يسلك مسلك الرسل وأتباعهم، ولو طالت المدة أولى به من عمل بضر الدعوة ويضايقها أو يقضي عليها ولا حول ولا قوة إلا بالله» (1)

المحدث محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله

سئل رحمه الله: هناك داعية من الجزائر ألف كتابا يدعي فيه بأن الاغتيالات من السنن المهجورة، ويحتج بقصة قتل كعب بن الأشرف، وقتل اليهودي الذي اطلع على عورة المرأة المسلمة، فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

الجواب: «لقد ذكرني بارك الله فيك أنه جاء في افتتاحيتك لسؤالك الأول هذا اللفظ الذي استغربته.. استغربت صدوره منك.. وإذا أنت تنقله عن غيرك، لكنك أوهمتني أنه من لفظك، السنن المهجورة.. ليت هذا المؤلف الذي تشير إليه يعرف السنن المهجورة ويشاركنا في إحيائها حقا.

أما هذه التي زعم أنها سنة مهجورة، وأنه ينبغي إحياؤها في زمننا هذا: فهذا مما نشكو.. أو من جملة ما نشكو منه: من الجهل بهدي النبي صلى الله عليه وسلم.

نحن نفهم الحادثة الأولى من القتل، وهي صحيحة، ونشك في صحة الحادثة الأخرى، ولكن سواء صحت هذه، أم لم تصح، فالجواب عن الحادثة الأولى الصحيحة يشملها أيضا.

نحن نقول: إن هذا القتل بتلك الطريقة التي قد يجوز في عرف بعض الناس أن يسميها اغتيالا، لم يكن قبل كل شيء قد وقع والمسلمون ضعفاء، وفي عهد الضعف

(1) انظر مجلة البحوث الإسلامية عدد 38 ص 210.

والمشركون يعذبوهم ... ألوان العذاب... وإنما كان والدولة الإسلامية قد بدأت تقوم قائمتها في المدينة المنورة التي كان فيها رسول الله ﷺ، هذا أولا، وخلاصة ما أريد من ذلك أن أقول إن هذا كان في وقت القوة والوحدة، وليس في وقت الضعف والتفرق.

ثانيا: لم يكن عملا فرديا يندفع إليه صاحبه بعاطفة، ولو أنها عاطفة إسلامية، ولكنها ليست عاطفة مقرونة بالعلم الإسلامي الصحيح، ذلك لأن الذي باشر ذلك القتل إنما كان بتوجيه من الحاكم المسلم، وهو رسول الله ﷺ ولذلك فنحن نقول لهذا الذي يسمى ذلك القتل بالسنة المهجورة. اتخذ الأسباب الشرعية التي أشرت إليها في أثناء كلامي من التصفية والتربية، ليأخذ المسلمون طريقة البدء بإقامة الدولة المسلمة في أرض من أراضي الله الواسعة، ويوم تقوم قائمة المسلمين، ويقوم عليهم رجل مسلم تتوفر فيه الشروط ليكون أميرا على جماعة مسلمة.. فإذا هذا الأمير أمر بذلك الأمر، وجب تنفيذه، أما أن ينطلق كل فرد بتصرف برأيه دون أن يكون مأمورا ممن يجب إطاعة أمره: فهذا ليس من السنة إطلاقا، بل هذا مما يدخل في القاعدة التي ندندن حولها دائما وأبدا، وهي من الحكمة مكان عظيم ... تؤكدها الحوادث التي نسمع كل يوم عنها الشيء الكثير المؤسف ... تلك القاعدة هي التي تقول: من استعجل الشيء قبل أوانه ابتلي بحرمانه ذلك لأن الذي يسلك سبيل اغتيال رجل من الكفار، ولو كان له صولة وله دولة فسيكون عاقبة ذلك أن ينتقم الكفار لأنهم أقوى من هذا المسلم، ومن حوله، فستكون العاقبة ضعفا في المسلمين على ضعف، بينما تلك الحادثة كانت عاقبتها نصرا للمسلمين، فشتان بين هذه العاقبة، وبين تلك العاقبة.

والأمر كما قال ﷺ ولو في غير هذه المناسبة: «إنما الأعمال بالخواتيم» هذا جوابي عن هذه السنة المزعومة»[1]

فضيلة الشيخ صالح الفوزان - حفظه الله–

سئل - حفظه الله -: هناك داعية من الجزائر ألف كتابا يدعي فيه بأن الاغتيالات من السنن المهجورة!! ويحتج بقصة قتل كعب بن الأشرف، وقتل اليهودي الذي اطلع على عورة المرأة المسلمة. فما رأي فضيلتكم في ذلك؟

الجواب: «**ليس في قصة قتل كعب بن الأشرف دليل على جواز الاغتيالات، فإن قتل كعب بن الأشرف كان بأمر الرسول ﷺ وهو ولي الأمر، وكعب من رعينه بموجب العهد، وقد حصلت منه خيانة للعهد اقتضت جواز قتله كفا لشره عن المسلمين، ولم يكن قتله بتصرف من آحاد الناس، أو بتصرف جماعة منهم من دون ولي الأمر كما هو حال الاغتيالات المعروفة اليوم في الساحة، فإن هذه فوضى لا يقرها الإسلام، لما يترتب عليها من المضار العظيمة في حق الإسلام والمسلمين**»[2]

«وخلاصة القول: أنه لا يجوز بحال اتخاذ وسائل غير شرعية، لا دليل عليها، أو وسائل في أصلها شرعية، لكنها مفضية إلى الشر، ومضادة نصوص الكتاب أو السنة، إذ كل ما أوجب فتنة وفرقة، فليس من الدين سواء كان قولا أو فعلا؟»[3]

---

(1) سلسلة الهدى والنور: شريط سمعي برقم: 1/671.

(2) فتاوى الأئمة في النوازل المدلهمة ص 101.

(3) الاستقامة (1/37) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وههنا أمر مهم جدا يزيد الأمر وضوحا، وهو أن المسلم في أعماله الشرعية كلها إنما يفعلها كوسيلة إلى الغاية العلياء وهي العبودية لله، وإفراده سبحانه بالعبادة.

والدعوة إلى الله من هذا الباب، فهي وسيلة – أيضا – لإقامة العبودية في النفس، ونشرها بين الناس، وهي في نفسها – أيضا – عبادة.

والأصل في العبادات التوقف والبطلان حتى يقوم دليل على الأمر كما هو مقرر في محله [1]

فلا مجال - ههنا - للتجارب الشخصية، ولا للاجتهادات الفكرية.. بل المحال – أبدا - مجال تعبد، ليس للأقيسة والآراء فيه موضع [2] ولا لما يسمى بمصلحة الدعوة، فإذا كانت الغاية مشروعة، فلا بد أن تكون الوسيلة مشروعة، بدون ذلك، فهو انحراف عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، فلا داعي لابتكار وسائل بدعية، ونسبها إلى الإسلام بحكم الدعوة إلى الله، فالدعوة إلى الله لا بد أن تكون على منهاج الله الذي خطه الله لأنبيائه.

أساليب الدعوة إلى الله -تعالى-

أساليب الدعوة هي: «**الطرق التي يسلكها الداعي في دعوته «أو كيفية تطبيق مناهج الدعوة**»[3]

---

(1) انظر كتاب «علم أصول البدع» للشيخ علي حسن عبد الحميد.

(2) الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ص 46 - 47.

(3) المدخل إلى علم الدعوة ص 242.

وأساليب الدعوة كثيرة ومتنوعة، وقد نص القرآن الكريم على بعضها نصا صريحا مباشرا كما أشار إلى بعضها إشارة، وكذلك السنة المطهرة

ومن هذه الأساليب- :

1. أسلوب الحكمة
2. تطلق الحكمة في اللغة على معان عديدة، منها:

العدل، العلم، الحكم، النبوة، القرآن، الإنجيل، السنة، وما إلى ذلك من إطلاقات كما تطلق على العلة، يقال: حكمة التشريع، وما الحكمة من ذلك، وعلى الكلام الذي يقل لفظه ويجل معناه، ويقال للرجل حكيم: إذا أحكمته التجارب، وأحكم الأمر أتقنه (1)

والحكمة اصطلاحا: «**إصابة الحق بالعلم والعقل**» فالحكمة من الله تعالى: معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان: معرفة الموجودات، وفعل الخيرات (2) ومنها «**الحكمة: عبارة عن معرفة الأشياء بأفضل العلوم**»(3)

ومنها «وضع الأشياء مواضعها»، ومنها: «الإصابة في القول والعمل معا» (4)

فتارة تكون لينا وهي الأصل، وتارة تكون شدة وقوة عند الحاجة، فاستخدام أسلوب اللين في موضعه من الحكمة، واستخدام أسلوب الشدة في موضعه من الحكمة، كل على

---

(1) انظر لسان العرب، مادة: حكم 140 - 143، المعجم الوسيط) 1/189.

(2) انظر مفردات القرآن، للراغب ص127.

(3) انظر النهاية في غريب الحديث 1/419.

(4) انظر البحر المحيط 1/393.

حسب حاجته فاستخدام أسلوب الشدة في غير محله، ليس من الحكمة، وكذا استخدام أسلـــوب اللين في غير محله ليس من الحكمة: فالداعي إلى الله لا بد أن يكون فطنا وذكيا في دعوته، حتى لا يكون ممن يصدون عن سبيل الله من حيث لا يشعر.

وليس من الحكمة أن تتعجل في دعوتك بحيث تريد الناس أن ينقلبوا من الحال التي هم عليها إلى الحال التي كان عليها الصحابة ﵃ بين عشية وضحاها، ومن أراد ذلك فهو بعيد كل البعد عن الحكمة في الدعوة، فالتدرج في الدعوة من الحكمة. قال تعالى: { ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ } [النحل:125] ومن أكرمه الله بالحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا { يُؤتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ } [البقرة:269]

ومن الحكمة استخدام أسلوب الرفق واللين في الدعوة، قال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران:159] وقال تعالى لنبيه موسى وهارون لما بعثهما إلى فرعون أن يقولا له قولا لينا { فَقُولَا لَهُ قَوْلاً لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى } [طه:44]

وامتدح النبي ﷺ الرفق واللين، فقال: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شـــانه**» وفي لفظ آخر حديث جرير: «**من يحرم الرفق يحرم الخير**» (1) وقال:

---

(1) رواه مسلم.

«إن هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق» (1) وقوله: **«إن الدين يسر ـ ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة».** (2)

قال ابن حجر رحمه الله: والمشادة بالتشديد، المغالبة يقال شاده يشاده مشادة إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيغلب.

وقال ابن المنير في هذا الحديث علم من أعلام النبوة، وقد رأينا، ورأى الناس قبلنا أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة بل منع الإفراط المؤدي إلى الملل أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلى أن خرج الوقت المختار أو إلى أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة» (3)

والرفق واللين من الأساليب النبوية في الدعوة إلى الله، وقصة الأعرابي (4) الذي بال في المسجد على مشهد من الصحابة، وكيف عالج النبي ﷺ هذه الحادثة بكل رفق ولين معروفة.

---

(1) رواه أحمد وحسنه شيخنا الألباني انظر صحيح الجامع 2242.

(2) رواه البخاري.

(3) فتح الباري 1/ 94.

(4) متفق عليه.

وموقف النبي ﷺ مع الرجل [1] الذي وقع على امرأته وهو صائم في نهار رمضان، كيف عالجه النبي ﷺ بكل رفق ولين، حتى ذهب الرجل غانما مطمئنا فرحا بهذا الدين وهذا اليسر من الداعية الأول ﷺ ولو تتبعنا سيرة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، لوجدنا فيها البيان والإيضاح للحق بأكمل وجه، وهذا توجيه نبوي للدعاة من أمته.

ومن الحكمة في الدعوة مراعاة أحوال المدعوين، فالأسلوب في حالة الضعف غير حالة القوة وحالة السلم غير حالة الحرب، والكبير غير الصغير، والرجل غير المرأة والعالم غير الجاهل، والعدو غير الصديق، والحاكم غير المحكوم، فالداعي لا بد أن يستخدم الأسلوب المناسب لكل حالة من الحالات.

فهذا ابن مسعود رضي الله عنه عندما قال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم، وكان يذكر الناس في كل خميس - فرد عليه - قائلا: «**أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أملكم وإني أتخولكم بالموعظة كما كان النبي ﷺ يتخولنا بها مخافة السآمة علينا**» [2]

وهذا عمر رضي الله عنه يقول على المنبر: «**أيها الناس لا تبغضوا الله إلى عباده، فقيل كيف ذاك أصلحك الله؟**

قال: يجلس أحدكم قاصا فيطول على الناس حتى يبغض ما هم فيهم ويقوم أحدكم إماما فيطول على الناس حتى يبغض ما هم فيه» [3]

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخاري.

(3) الآداب الشرعية: 2/108.

وهذا ابن عباس ﭭ يقول: «**حدث الناس كل جمعة فإن أكثرت فمرتين، فإن أكثرت فثلاثا، ولا تمل الناس من هذا القرآن ولا تأت القوم وهم في حديث فتقطع عليهم حديثهم، وقال أنصت فإذا أمروك فحدثهم وهم يشتهونه وإياك والسجع في الدعاء فإني عهدت رسول الله ﷺ وأصحابه لا يفعلونه**»[1]

وهناك بعض الدعاة من يستخدم أسلوب الغلظة والقسوة والشدة في إرشادهم للناس ومحاورتهم لهم، ودعوهم لإقلاعهم عما يخالف الشرع، وظنوا أن طريق الشدة، هي المجدية والرادعة، وغاب عنهم أن أسلوب الرفق واللين هو الأصل، ولا يترك إلا بعد أن تستنفذ وسائله، لأنه هو المحلي النافع، المؤثر في النفس.

ومن العجيب أن هؤلاء لم يفرقوا بين المخالف عن علم والجاهل الذي لا يدري، ولا بين الداعية للبدعة والضحية المضلل المخلوع.

وهؤلاء الذين لا يستخدمون في دعوتهم إلا أسلوب الشدة والعنف، أحيانا يتجاوزون هذا الأسلوب إلى أسلوب القتل وسفك الدم: دم العلماء، أو الجنود الأبرياء، أو المواطنين العزل [2]، ولا تعجب إذا علمت بعد ذلك أن أصحاب الشدة والعنف هؤلاء كثيرا ما انقلب بعضهم على بعض، وتطاولت الألسنة وأحيانا الأيادي، وأحيانا

---

(1) الآداب الشرعية 108/2.

(2) انظر ما حصل في الجزائر من قتل الأبرياء.

تكفيرهم لبعضهم كما حصل مع الفرق [1] المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومنهج السلف الصالح، وهكذا مصير من ترك منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله.

وذكر القاضي أبو يعلي ﷺ في المعتمد قوله: «**لا يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر إلا من كان فقيها فيما يأمر به، فقيها فيما ينهى عنه، رفيقا فيما يأمر به، رفيقا فيما ينهى عنه، وحليما فيما يأمر به، حليما فيما ينهي عنه**» [2]

وكما أن الحكمة في الدعوة هي الرفق واللين، فكذلك تكون أحيانا الشدة عند الحاجة من الحكمة فتستخدم مع من يحتاجها من المسلمين الذين لم ينتفعوا بالمواعظ من الترغيب والترهيب، ولتكون أنفع في تنبيه الغافلين النائمين زجرا لهم ولأمثالهم، فإذا كان المنكر لا يغير إلا بنوع من الشدة فلا بأس باستعماله ولو كان مع المسلمين، ألا ترى أن الله أباح قتال البغاة من المسلمين وليس فوق القتال شدة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ [الحجرات:9]

وقد يشتد المؤمن أحيانا مع أخيه كما فعل موسى ﷺ بأخيه هارون حتى كان منه ما قصه الله تعالى بقوله: ﴿ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ ﴾ [الأعراف:150]

---

(1) وهذا ما حصل مع بعض الجماعات الإسلامية المعاصرة من تكفيرهم لبعضهم البعض.

(2) مجموع الفتاوى 28/136-137.

وهذا ما حصــل من النبي ﷺ لبعض أصــحابه، في قوله لمعاذ بن جبل رضي الله عنه حين أطال الصلاة بالناس: «أفتان أنت يا معاذ؟» (1)

وقوله لأسـامة بن زيد رضي الله عنه حين قتل في المعركة مشرـكا بعد أن نطق بكلمة التوحيد - لا إله إلا الله - «يا أسـامة! أقتلته بعدما قال: لا إله إلا الله؟ قال أسـامة: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم» (2)

وعندما رأى النبي ﷺ خاتما من ذهب في يد رجل فرعه فطرحه، وقال: «يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده» فقيل للرجل بعدما ذهب رسـول الله ﷺ: خذ خاتمك انتفع به، قال «لا والله لا آخذه أبدا وقد طرحه رسول الله ﷺ» (3)

,كما اشتد غضب النبي ﷺ على الذين يتخلفون عن صلاة الجماعة (4) فقال: «والذي نفسيـ بيده لقد هممت أن آمر بحطب فيحطب، ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها، ثم آمر رجلا فيؤم الناس، ثم أخالف إلى رجال فأحرق عليهم بيوتهم، والذي نفسيـ بيده، لو يعلم أحدهم أنه يجد عرقة سمينة أو مرماتين حسنتين لشهد العشاء» (5)

(1) متفق عليه.

(2) رواه البخاري.

(3) رواه مسلم.

(4) فكيف بالذين يأمرون عناصرهم بترك بعض الصلوات جماعة من أجل توزيع منشورات أو تلصيق ملصقات.

(5) متفق عليه

وهذا عبد الله بن عمر عندما رآه النبي ﷺ وعليه ثوبين معصفرين فقال: «ءأمك أمرتك هذا؟ قلت: أغسلهما؟ قال: بل احرقهما» (1)

قال النووي رحمه الله: «**وأما الأمر بإحراقهما فقيل هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل**» (2)

فأسلوب الشدة في محلة أسلوب نبوي كريم، ولا يحق لأحد أن يعترض عليه مدعيا أن أسلوب اللين والرفق هو الأسلوب الحسن على إطلاقه.

ولذلك قال ابن تيمية رحمه الله «**المؤمن للمؤمن كاليدين تغسل إحداهما الأخرى، وقد لا ينقلع الوسخ إلا بنوع من الخشونة، لكن ذلك يوجب من النظافة والنعومة ما نحمد معه ذلك التخشين**» (3)

وقال الشيخ السعدي رحمه الله «يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين والإغلاظ عليهم في ذلك، وهذا شامل لجهادهم. بإقامة الحجة عليهم، ودعوتهم بالموعظة الحسنة، وإبطال ما هم عليه من أنواع الضلال، وجهادهم بالسلاح والقتال لمن أبي أن يجيب دعوة الله، وينقاد لحكمه فإن هذا يجاهد، ويغلظ عليه، وأما المرتبة الأولى فتكون هي أحسن» (4)

---

(1) رواه مسلم.

(2) شرح مسلم للنووي 14/55/56.

(3) مجموع الفتاوى 28/53-54.

(4) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان: 5/271.

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز ﵀: «ولا شك أن الشريعة الإسلامية الكاملة جاءت بالتحذير من الغلو في الدين، وأمرت بالدعوة إلى سبيل الحق بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن، ولكنها لم تهمل جانب الغلظة والشدة في محلها حيث لا ينفع اللين والجدال بالتي هي أحسن، كما قال سبحانه : { يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ } [التحريم:9]

وقال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً } [التوبة:123]

وقال تعالى: { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [العنكبوت:46]

أما إذا لم ينفع واستمر الظلم أو الكفر أو الفسق في عمله ولم يبال بالواعظ والناصح، فإن الواجب الأخذ على يديه ومعاملته بالشدة وإجراء ما يستحقه من إقامة حد أو تعزير أو تجديد أو توبيخ حتى يقف عند حده وينزجر عن باطله [(1)]

وأما ما ورد عن سلف الأمة من الشدة في معاملة أهل الأهواء والبدع فكثير جدا منها:

ما قاله الإمام أبو عثمان الصابوني ﵀: «**واتفقوا – أي السلف - مع ذلك القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتباعد منهم ومن مصاحبتهم ومعاشرتهم، والتقرب إلى الله ﷻ مجانبتهم ومهاجرتهم**» [(2)]

---

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 3/302-303.

(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص 123.

وقال أبو محمد بن أبي حاتم: «وسمعت أبي وأبا زرعه يأمران هجران أهل الزيغ والبدع يغلظان في ذلك أشد التغليظ وينكران وضع الكتب برأي في غير آثار، وينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين ويقولان: لا يفلح صاحب كلام أبدا» (1)

وقال جعفر بن عبد الله: «جاء رجل إلى مالك بن أنس يعني يسأله عن قوله «الرحمن على العرش استوى» قال: فما رأيته وجد من شيء كوجده من فعالته، وعلاه الرحضاء وأطرق القوم فجعلوا ينتظرون الأمر به فيه ثم سرى عن مالك فقال: الكيف غير معلوم، والاستواء غير مجهول والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وإني لأخاف أن تكون ضالا» ثم أمر به فأخرج» (2)

وقال أبو إسماعيل محمد بن إسماعيل الترمذي: «كنت أنا وأحمد بن الحسن الترمذي عند أبي عبد الله أحمد بن حنبل فقال له أحمد بن الحسن: يا أبا عبد الله، ذكروا لابن أبي قتيلة بمكة أصحاب الحديث، فقال: أصحاب الحديث قوم سوء، فقام أبو عبد الله وهو ينفض ثوبه فقال: زنديق زنديق زنديق ودخل بيته» (3)

وقال أحمد بن حنبل: «إذا رأيت الرجل يغمز حماد بن سلمة فاتهمه على الإسلام، فإنه كان شديدا على المبتدعة» (4)

---

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة ص 201.

(2) عقيدة السلف وأصحاب الحديث ص 39.

(3) شرف أصحاب الحديث ص137-138.

(4) إجماع العلماء على الحر والتحذير من أهل الأهواء ص 36

قال معاوية بن صالح الأشعري: «**سألت أحمد بن حنبل عن شريك، فقال: كان عاقلا صدوقا محدثا وكان شديدا على أهل الريب والبدع**» (1)

وقال عنه الحافظ ابن حجر: «**وكان عادلا فاضلا شديدا على أهل البدع**» (2)

وهذا الإمام محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله قال عنه البيهقي: «**وكان الشافعي رضي الله عنه (3) شديدا على أهل الإلحاد وأهل البدع مجاهرا ببغضهم وهجرهم**» (4)

وقال أبو مسهر: «**قدم أبو إسحاق الفزاري دمشق، فاجتمع الناس يسمعون منه، فقال: أخرج إلى الناس فقل لهم: من كان يرى القدر فلا يحضر مجلسنا، ومن كان يرى رأي فلان، فلا يحضر مجلسنا، فخرجت فأخبرتهم**» (5)

وقال الإمام البربهاري رحمه الله في أهل البدع: «**مثل أصحاب البدع مثل العقارب، يدفنون رؤوسهم وأبدانهم في التراب، ويخرجون أذنابهم، فإذا تمكنوا لدغوا، وكذلك أهل البدع هم مختفون بين الناس فإذا تمكنوا بلغوا ما يريدون**» (6)

---

(1) سير أعلام النبلاء 8/209.

(2) التقريب ص 436

(3) إذا اطلق الترضي علي الأعيان فيصرف إلى الصحابة، وأما غيرهم فيطلق عليهم تعميما لا تعيينا.

(4) مناقب الشافعي 1/ 469.

(5) انظر السير 8/474-475.

(6) طبقات الحنابلة 2/44.

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد بن مفرج في أبي جعفر أحمد بن عون:«**كان أبو جعفر أحمد بن عون الله محتسبا على أهل البدع غليظا عليهم مذلا لهم طالبا لمساوئهم مسارعا في مضارهم شديد الوطأة عليهم مشردا لهم إذا تمكن منهم غير مبق عليهم وكان كل من كان منهم خافيا على نفسه، متوقيا، لا يداهن أحدا منهم على حال ولا يسالمه، وإن عثر على منكر وشهد عليه عنده بانحراف عن السنة نابذه وفضحه وأعلن بذكره والبراءة منه، وعيره بذكر السوء في المحافل وأغري به حتى يهلكه أو يترع عن قبيح مذهبه، وسوء معتقده، ولم يزل دؤوبة على هذا جاهدا فيه ابتغاء وجه الله إلى أن لقي الله ﷻ**» (1)

وكذلك الإمام أسد بن الفرات رحمه الله فقد جاء في رسالة أسد ابن موسى المعروف بأسد السنة التي كتبها لأسد بن الفرات فقال: «اعلم -أي أخي - أن ما حملني على الكتابة إليك ما ذكر أهل بلدك من صالح ما أعطاك الله من إنصافك الناس، وحسن حالك مما أظهرت من السنة، وعيبك لأهل البدعة، وكثرة ذكرك لهم، وطعنك عليهم، فقمعهم بك، وشبك ظهر أهل السنة، وقواك عليهم بإظهار عيبهم، والطعن عليهم، فأذلهم الله بذلك، وصاروا ببدعتهم مستترين.

فأبشر - أي أخي - بثواب ذلك، واعتد به أفضل حسناتك من الصلاة والصيام والحج والجهاد (2)

---

(1) تاريخ دمشق 118/5 انظر كيف كان علماء السلف أشد نكيرا على أهل البدع بذكرهم بأعيانهم في المجالس والمحافل لتحذير الناس من شرهم.

(2) المراد عبادات النوافل.

وأين تقع هذه الأعمال من إقامة كتاب الله، وإحياء سنة رسوله ﷺ وذكر أيضا أن الله عند كل بدعة كيد ما الإسلام وليا لله يذب عنها وينطق بعلاماتها ... فاغتنم ذلك، وادع إلى ا السيئة حتى يكون لك في ذلك ألفة، وجماعة يقومون مقامك إن حدث بك حدث، فيكونون أئمة بعدك، فيكون لك ثواب ذلك إلى يوم القيامة، كما جاء الأثر. فاعمل على بصيرة ونية وحسية، فيرد الله بك للمبتدع المفتون الزائغ الحائر، فتكون خلفا من نبيك ﷺ فإنك لن تلقى الله بعمل يشبهه.

وإياك أن يكون لك من أهل البدع أخ أو جليس أو صاحب ... وقد وقعت اللعنة من رسول الله ﷺ على أهل البدع، وأن الله لا يقبل منهم صرفا ولا عدلا ولا فريضة، ولا تطوعا، وكلما ازدادوا اجتهادا وصوما وصلاة ازدادوا من الله بعدا، فارفض مجالسهم وأذلهم وأبعدهم كما أبعدهم الله وأذلهم رسول الله ﷺ وأئمة الهدى بعده [1]

وجاء في ترجمته ﵀ ما قاله يحيى بن سلام: حدث أسد يوما بحديث الرؤية، وسليمان القراء المعتزلي في آخر المجلس فأنكر الرؤية، فسمعه أسد فقام إليه وجمع بين طوقيه ولحيته، واستقبله بنعله فضربه حتى أدماه وطرده من مجلسه [2]

---

(1) البدع والنهي عنها لابن وضاح ص 28-32.

(2) ترتيب المدارك للقاضي عياض 3/301-302، هكذا علماء السلف يرفضون مصاحبة ومحاله أهل البدع، ويستخدمون معهم الشدة والعنف لما هم عليه من إضلال الناس وحتى لا يغتر الناس هم وحتى وصل بهم الأمر من ضرهم وطردهم من مجلس العلم، ألا يعتبر الذين يصاحبوهم ويجالسوهم، ويمازحونهم، ويتسمون في وجوههم. إنه المنهج.

السلف في النكير والتحذير من أصحاب المناهج المخالفة لمنهج السلف، وهل بعد هذه الشدة من شدة.

قال شيخ الإسلام بن تيمية ﵀: «**ويجب عقوبة من انتسب إليهم - أهل البدع - أو ذب عنهم، أو أثني عليهم، أو عظم كتبهم، أو كره الكلام فيهم، أو أخذ يعتذر لهم بأن هذا الكلام لا يدري ما هو؟ أو من قال إنه صنف هذا الكتاب؟ وأمثال هذه المعاذير التي لا يقولها إلا جاهل أو منافق، بل تجب عقوبة كل من عرف حالهم ولم يعاون على القيام عليهم، فإن القيام على هؤلاء من أعظم الواجبات**»[1]

وقال ابن القيم ﵀: «**ومن تأمل أحوال الرسل من أممهم، وحدهم كانوا قائمين بالإنكار عليهم أشد قيام حي لقوا الله تعالى، وأوصوا من آمن هم بالإنكار على من خالفهم، وأخبر النبي ﷺ: أن التخلص من مقامات الإنكار الثلاثة ليس معه من الإيمان حبة خردل، وبالغ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أشد المبالغة حتى قال: «إن الناس إذا تركوه، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»**.

وأخبر أن تركه يمنع إجابة دعاء الأخيار ويوجب تسلط الأشرار.

وأخبر أن تركه يوقع المخالفة بين القلوب والوجوه، ويحل لعنة الله كما لعن الله بن إسرائيل على تركه[2]

(1) مجموع الفتاوى 2/132.

(2) مدارج السالكين 3/123.

وقال الأخ خالد الظفيري: «**ولكن ينبغي التنبيه على أن هذه الشدة على المخالفين التي كانوا يمتاز بها هؤلاء الأئمة، لا تعني أنهم كانوا على أخلاق سيئة أو دنيئة، بل كانوا يتحلون بالأخلاق الكريمة والخصال الحميدة من الصبر والحلم والأناة والصدق والورع وغير ذلك، ولكنهم رأوا أن هذا المقام يحتاج إلى مثل هذه الشدة لقمع هؤلاء المبتدعة لاسيما الدعاة منهم، وصرف بدعهم عن الناس، وما ذلك إلا لعلمهم بخطر تلك البدع، وما تؤدي إليه أحيانا من الكفر والزندقة، وكل ذلك راجع إلى حكمة الداعي وفقهه في المعاملة**» [1]

فيا حبذا لو سلك الدعاة إلى الله مسلك سلفنا الصالح في دعوتهم، من استخدام أسلوب الرفق واللين لمن احتاج إلى ذلك، وأسلوب الشدة لمن احتاج إلى ذلك، لكان هذا الأسلوب أنفع في الدعوة إلى الله، ولكان هناك ثمرة مرجوة من تغيير أحوال الناس من الأسوأ إلى الأحسن، ولكنهم خلطوا بين الأسلوبين فخالفوا بذلك منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، ولكن الله قيض هذه الأمة دعاة [2]يدعون الناس وفق منهج الأنبياء فأفلحوا في دعوتهم، وكانت لها ثمرة استفاد منها الكثير من المسلمين.

2 .أسلوب الموعظة الحسنة

---

(1) إجماع العلماء على الحجر والتحذير من أهل الأهواء ص 55.

(2) هم السلفيون.

الموعظة في اللغة: مشــتقة من: وعظه يعظه وعظ: نصــحه وذكره بالعواقب، وأمره بالطاعة ووصاه بها (1)

والحسنة: مقابل السيئة، فالموعظة قد تكون حسنة، وقد تكون سيئة، وذلك بحسب ما يعظ به الإنسان ويأمر به، وبحسب أسلوب الواعظ.

ومن هنا جاء الأمر بها مقيدة في القرآن الكريم، قال تعالى : { ادْعُ إِلى سَــبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل:125]

والداعي إلى الله في حاجة إلى هذا الأســلوب الدعوي من لطف في العبارة وألفاظها ومناسبتها للمقام مع تنوع أشكالها وكثرتها، لأن هذا يؤثر في نفوس المدعوين مما يترتب عليه قبول الموعظة، وسرعة الاستجابة

إليها غالبا.

والموعظة الحســنة ترغب الإنســان فيما يحب ويشــتهي من مرضــاة الله ســواء في الحياة الدنيا أم في الدار الآخرة، وترهب الإنســـان وتخوفه مما تكره نفســـه من أنواع العذاب سواء أكان في الدنيا أم الآخرة.

والحســـن في الموعظة يتنـافى مع الفظـاظة والغلظة في القول، ويتنـافى مع الشـــباب والشتائم والأقوال الجارحة، فكل ما تنفر منه الطباع السليمة، ولا تتحمل استماعه، ولا تتقبله من المواعظ خارج عن دائرة الموعظة الحسنة.

(1) انظر لسان العرب مادة (وعظ) 7/466.

ومن الحسن في أسلوب العرض، الاهتمام بالمدعو، فالعالم غير الجاهل، والباحث عن الحق غير المجادل والواقع في الخطأ اجتهادا غير العامد، كل حسب وضعه وحالته، فأسلوب الترغيب والترهيب من أساليب الموعظة الحسنة إذا كان يناسب حال من توجه لهم الدعوة.

فانظر إلى موعظة النبي ﷺ للأعرابي الذي بال في المسجد، وكيف عالج الخطأ بكل يسر وسهولة ففي الحديث الشريف: «عن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: ﷺ مه، قال: لا تزرموه، دعوه، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه فقال له: إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن، أو كما قال رسول الله ﷺ قال: فأمر رجلا من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه [1]

وموقفه يوم حنين، حين قسم الغنائم فوجد الأنصار في أنفسهم شيئا، فقام فيهم خطيبة، وذكرهم بنعمة الله عليهم، ووعظهم موعظة حسنة.... [2]

فإذا لم يستجب المدعو بالموعظة الحسنة، فأقل القليل أنه يمتنع عن المجاهرة بالمعصية، خجلا من الداعي ويرد عليك الجميل بقوله: جزاك الله خيرا، فبهذا نكون قد حاصرنا المنكرات والمعاصي من انتشارها وهذه ثمرة من ثمرات الموعظة الحسنة.

3. أسلوب المجادلة بالحسنى

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

يقال في اللغة: جادله مجادلة وجدا، ناقشه وخاصمه، والجدل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها وهو شدة الخصومة، وفي الحديث: ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا. والجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمجادلة: المناظرة والمخاصمة (1)

والجدل في الاصطلاح: «مقابلة الأدلة لظهور أرجحها» (2) وقد تكون المجادلة بالحسن، وقد تكون بالباطل، قال تعالى : { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل:125]

وقال: { كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ } [غافر:5]

والجدل إذا كان يهدف إلى غاية مشروعة فهو ممدوح: وإذا كان يهدف إلى غاية غير مشروعة فهو مذموم، ولذا جاء الأمر في القرآن مقيدا بالتي هي أحسن

قال تعالى { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل:125]

، وعلى ذلك كانت المجادلة بالتي هي أحسن أسلوبا من أساليب الدعوة إلى الله فتكون المجادلة بالمناقشة والمناظرة، والمحاورة، والمخاصمة. وأما ما نقل عن بعض السلف في ذم المجادلة فهو محمول على المجادلة المذمومة التي لا فائدة منها، كالجدال في القرآن الكريم وآياته البينات.

والمجادلة تأتي في المرتبة الثالثة من مراتب أساليب الدعوة «الحكمة، الموعظة الحسنة، الجدال بالتي هي أحسن» ولا يصح الجدال من غير علم، أو من أجل الجدال فقط،

---

(1) انظر لسان العرب مادة (جدل) 11/105.

(2) انظر المصباح المنير ص 128.

قال تعالى { يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّورَاةُ وَالإنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * هَاأَنتُمْ هَؤُلاء حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ } [آل عمران:65-66]

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَآجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رِبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ } [البقرة:258]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله

«فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»(1)

والجدال بالتي هي أحسن سلاح يتسلح به الداعي للدفاع عن دينه، ولنشره بين الناس، وقد يكون واجبا لنصرة دين الله، وإزهاق الباطل كالقتال في سبيل الله عز وجل.

أما إذا كان الجدال انتصارا للنفس، ورغبة في الاستعلاء والغلبة على الآخرين فهو عمل مذموم يكون حراما إذا كان فيه طمس للحق، أو تضليل للطرف الآخر المحادل، ولذا فعلى المجادل أن يتخلى عن التعصب الوجهة نظره، إن لم يكن معه دليل صحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وأن يعلن استعداده التام للبحث عن الحق، والأخذ به عند ظهوره، قال تعالى: { قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ

(1) درء تعارض العقل والنقل 1/357.

مُّبِينٍ } [سبأ:24] فالهدىٰ: هو الحق والضلال المبين هو الباطل. وعلىٰ كلا الطرفين التقيد بالقول المهذب، والبعد عن كل طعن أو تجريح أو سخرية أو احتقار لوجهة النظر التي يدعيها أو يدافع عنها من يجادله لقوله { وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ } [النحل:125]، وقوله { وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ } [العنكبوت:46]

إذا كان هذا هو الأسلوب المطلوب مع أهل الكتاب، فمن باب أولىٰ أن يسلك المسلم الأسلوب الحسا فيه المسلم، ولا يسلك مسالك السب والشتم والطعن واللعن، والمراوغة والأخذ بالمغالطات واعتماد الأكاذيب، والروايات الساقطات والخرافات التي لم تثبت صحتها. أما الإصرار علىٰ إنكار المسلمات فهو مكابرة قبيحة، ومماراة منحرفة عن أصول المحاورة والمجادلة السليمة.

وعلي المتحاورين قبول النتائج التي توصل إليها الأدلة القاطعة أو الأدلة الراجحة إذا كان الموضوع مما يكفي فيه الدليل الراجح.

وإلا كانت المجادلة من العبث الذي لا يليق بالعقلاء أن يمارسوه، فإذا حققنا هذه الآداب في المجادلة كانت أسلوبا حسنا من أساليب الدعوة إلي الله التي تؤتي ثمارها.

صفات الداعي إلى الله -تعالى-

1. الإخلاص

فالإخلاص روح الأعمال، وسر قبولها، وبه يكون عون الله وتوفيقه، ويكتب لصاحبه القبول وفتح له القلوب، والدعوة إلىٰ الله من العبادات التي يتقرب بها العبد لربه، قال تعالىٰ: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاء وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ } [البينة:5] فالعمل إن لم يكن بنية خالصة فلا ينفع صاحبه.

وقدما قالوا: إذا خرج الكلام من اللسان لم يتجاوز الآذان، وإذا خرج من القلب دخل القلب بلا استئذان وقال ابن القيم رحمه الله: «وقد جرت عادة الله التي لا تبدل، وسنته التي لا تحول أن يلبس المخلص من المهابة والنور والمحبة في قلوب الخلق، وإقبال قلوبهم إليه ما هو بحسب إخلاصه ونيته، ومعاملته لربه، ويلبس المرائي اللابس ثوبي الزور من المقت والمهانة والبغضة ما هو اللائق به.

فالمخلص له المهابة والمحبة، وللآخر المقت والبغضاء»(1)

2. العلم والبصيرة

والمراد بالعلم هو العلم بشريعة الله علما متلقى من مصدرين أساسيين لا ثالث لهما ألا وهما الكتاب والسنة لقوله تعالى: ﴿ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل:44] ولقوله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء:113]

قال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله بعدما ذكر أهمية الإخلاص للداعية قال: «**أن تكون على بينة في دعوتك أي على علم، لا تكن جاهلا بما تدعو إليه** » ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف:108] فلا بد من العلم، فالعلم فريضة، فإياك أن تدعو على جهالة، وإياك أن تتكلم فيما لا تعلم، فالجاهل يهدم ولا يبني، ويفسد ولا يصلح، فاتق الله يا عبد الله، إياك أن تقول على الله بغير علم، لا تدع إلى شيء إلا بعد العلم به، والبصيرة بما قاله الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. فلا بد من بصيرة وهي العلم، فعلى طالب العلم وعلي الداعية أن يتبصر فيما يدعو إليه وأن ينظر فيما يدعو إليه ودليله، فإن ظهر له الحق وعرفه ودعا إلى ذلك،

---

(1) إعلام الموقعين 200/4.

سواء أكان ذلك فعلا أم تركا، فيدعو إلى الفعل إذا كان طاعة الله ورسوله ﷺ على بينة وبصيرة[1]

قلت: ففاقد الشيء لا يعطيه، كيف يدعو من لا علم عنده! كيف يدعو من لا يفرق بين التوحيد والشرك إمن لا يفرق بين السنة والبدعة، ومن لا يفرق بين الوسائل الدعوية المشروعة وبين الوسائل البدعية فالجاهل لا يصلح أن يكون داعيا إلى الله.

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «فعلى الداعية أن يكون على علم فيما يدعو إليه، على علم صحيح مرتكز على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لأن كل علم يتلقى من سواهما يجب أن يعرض عليهما أولا، وبعد عرضه فإما أن يكون موافقة أو مخالفة، فإن كان موافقة قبل، وإن كان مخالفة وجب رده على قائله كائنا من كان، فقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: «يوشك أن تتنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله، وتقولون: قال أبو بكر وعمر» [2]

وتأمل أيها الداعية لله قول الله تعالى ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ أي: على بصيرة في ثلاثة أمور:

أولا: أن يكون على بصيرة فيما يدعو إليه:

بأن يكون عالم بالحكم الشرعي الذي يدعو إليه، لأنه قد يدعو إلى شيء يظن أنه واجب وهو في الشرع غير واجب فيلزم عباد الله بما لم يلزمهم الله به، وقد يدعو إلى ترك شيء يظن أنه محرم، وهو في دين الله غير محرم، فيحرم على عباد الله ما أحله الله لهم...

(1) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة 1/ 349 (بتصرف يسير).

(2) رواه البخاري.

ثانيا: أن يكون على بصيرة بحال المدعو:

لما بعث النبي ﷺ معاذا إلى اليمن، ماذا قال له؟ قال له: «**إنك تأتي قوم أهل الكتاب**»[(1)] ليعرف ويستعد لهم، أتأتي الشخص تدعوه وأنت لا تعرف حاله؟ ربما يكون هذا الشخص عنده من العلم بالباطل ما يوقفك في أول الطريق، وإن كنت على حق.

إذن لا بد أن تعلم حال هذا المدعو، ما مستواه العلمي؟ وما مستواه الجدلي، وإن كان الأمر عليك لقوة جدله، صار في هذا نكبة عظيمة على الحق، وأنت سببها، ولا تظن أن صاحب الباطل يخفق في كل حال، فإن الرسول ﷺ قال: «**إنكم تختصمون إلى، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له بحق أخيه شيئا فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار**»[(2)] فهذا يدل على أن المخاصم وإن كان بباطل، قد يكون ألحن بحجته من الآخر، فيقضى بحسب ما تكلم به هذا المخاصم، فلا بد أن تكون عالما بحال المدعو.

ثالثا: أن يكون على بصيرة في كيفية الدعوة

وهذه يفقدها بعض الدعاة، تجد عنده من الغيرة والحماس والاندفاع شيئا كثيرا لا يستطيع معه أن يمنع نفسه ما يريد أن ينفذه فيدعو إلى الله بغير حكمة ... لذا يجب على الداعية قبل أن يتحرك، أن ينظر إلى النتائج، ويقيس الأمور، فقد يكون في تلك الساعة

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

ما يطفئ لهيب غيرته فيما صنع، لكن بالتأني والحكمة سيخمد هذا الفعل نار غيرته وغيرة غيره في المستقبل، وقد يكون في المستقبل القريب دون البعيد...

فإذا لم يكن الإنسان ذا علم فمن الأولى به أن يتعلم أولا ثم يدعو ثانيا... ولسنا عندما نقول إن الداعية محتاج إلى العلم لسنا نقول: إنه لا بد أن يبلغ شوطا كبيرا في العلم، ولكننا نقول: لا يدعو إلا بما يعلم فقط ولا يتكلم بما لا يعلم [1]

وقال الشيخ الفوزان - حفظه الله -: «والإنسان قد يكون فيه رغبة إلى فعل الخير وإلى الدعوة، لكن لا يجوز له أن يباشر الدخول في الدعوة إلا بعد أن يتعلم، ويعرف كيف يدعو إلى الله ﷻ ويعرف طرق الدعوة ويكون عنده علم بما يدعو إليه { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ } [يوسف:108]

يعني على علم.

فالجاهل لا يصلح للدعوة، لا بد أن يكون. عنده علم، وإخلاص، وصبر، وتحمل، وحكمة، ولا بد أن يعرف طرق الدعوة، ومناهج الدعوة التي جاء بها الرسول ﷺ

أما مجرد الحماس، أو مجرد المحبة للدعوة، ثم يباشر الدعوة، هذا في الحقيقة يفسد أكثر مما يصلح، وقد يقع في مشاكل. ويوقع الناس في مشاكل، فهذا يكفيه أن يرغب في الخير، ويؤجر عليه - إن شاء الله - لكن إن كان يريد الدخول في مجال الدعوة فليتعلم أولا.

(1) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات ص 25 - 31 بتصرف.

ما كل واحد يصلح للدعوة، وما كل متحمس يصلح للدعوة، التحمس مع الجهل يضر ولا ينفع [1]

3. الصبر وسعة الصدر

إن الأمراض الموجودة في المجتمع في حاجة إلى علاج كثير، ويظن الداعي إلى الله أنه بجلسة أو جلستين أو مقالة أو مقالتين أن يعالج هذه الأمراض.

ولا نقول هذا تثبيطا للدعاة، إنما نقرر حقيقة، ونوضح الطريق لمن أراد المشاركة في العلاج حتى لا يصدم مع الواقع، ولكي يهيئ نفسه قبل سلوك الطريق.

والصبر ضروري للداعي لأنه يواجه باستنباطات غريبة وآراء عجيبة يستاء من سماعها المرء ويخشى من خطورة عواقبها، فإذا لم يتمالك نفسه ويوسع صدره، ضاعت جدوى العلاج.

فعليه أن يلزم الصبر لأنه قد يقابل في دعوته من يسيء له إما بقول أو بفعل،

قال تعالى: { وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيم } [فصلت:34]

وقال تعالى : { يَابُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُور } [لقمان:17]

وقد واجه الأنبياء والرسل في دعوتهم لأقوامهم كثيرا من التكذيب والتعذيب، لكن الله أكرمهم بالصبر

(1) الأجوبة المفيدة عن أسئلة المناهج الجديدة ص 87-88.

، قال تعالى: { وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَى مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا } [الأنعام:34]

وقال تعالى { فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل } [الأحقاف:35]

ولو تتبعنا سيرة النبي ﷺ كيف صبر وتحمل الأذىٰ من أجل الدعوة لرأينا أن جاره كان يؤذيه صبر عليه واحتسب.(1)

وعندما خرج إلى ثقيف في الطائف، ماذا فعل به سفهاء المشركين، رجموه بالحجارة حتى أدموا عقبيه فعرض عليه ملك الجبال أن يطبق عليهم الأخشبين، فقال النبي ﷺ: «لا... لعل الله أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله» (2)

وها هو ذا النبي ﷺ عندما كان ساجدا تحت الكعبة يعبد الله في مكان آمن، ماذا فعل به المشركون؟ أمروا رجلا منهم أن يأتي بسلا جزور د ويضعه على ظهر الرسول ﷺ وهو ساجد، ومع هذا كله فقد صبر واحتسب، حتى جاءت فاطمة رضي الله عنها فألقت الأذىٰ عن ظهر أبيها ... »(3)

فعلى الداعية أن يكون صابرا على دعوته، صابرا على ما يدعو إليه، صابرا على ما يعترض دعوته، صابرا على ما يعترضه هو من الأذىٰ، وإلا فلا فائدة من دعوته، وخاصة أنه يواجه في دعوته الجاهل، والمعاند، والمجادل، والمنافق، والصغير والكبير، والحاكم والمحكوم.

---

(1) رواه الطبري في تاريخه 2/343.

(2) أخرج القصة بتمامها البخاري ومسلم.

(3) نفس المصدر.

4. القدوة الحسنة

الناس تقتدي بالقدوة الحسنة، وإذا كان الداعي إلى الله قدوة حسنة، فإن الناس يستجيبون لدعوته ويتأسون به، قال تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب:21]

قال الإمام القرطبي في تفسيره: «**الأسوة: القدوة، والأسوة: ما يتأسى به أي يتعزى به فيقتدي به في جميع أحواله**» (1) وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي: «**الأسوة نوعان: أسوة حسنة، وأسوة سيئة، فالأسوة الحسنة في الرسول ﷺ وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو الأسوة السيئة، كقول المشركين حين دعتهم الرسل للتأسي هم:** { بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ } [الزخرف:22] (2)

وقال قتادة في قوله تعالى: { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا } [الفرقان:74] : «أي: قادة في الخير ودعاة هدي يوتم بنا في الخير» (3)

وتتحقق القدوة الحسنة في الداعي إلى الله باتباعه لمحمد لا في أقواله وأفعاله، فيكون متبوعا بسبب اتباعه للحق، وبإيمانه بدعوته، وتعلمه للعلم، وحسن خلقه، وموافقة عمله لقوله، وعدم انقطاعه عن الأعمال الصالحة، والتثبت من صحة النقول، وابتعاده عن المحرمات، ومحاسبة نفسه، وهذه الخصال كلها إن توفرت فيه كان قدوة حسنة

(1) تفسير القرطبي 8/237.

(2) تفسير كلام المنان 6/208.

(3) فتح الباري 13/251.

للآخرين، فإن وجدت القدوة الحسنة تولدت عنها الثقة بالداعي، فحينئذ يسمع منه ما يقول، فترى كلامه يخرج من فمه فيدخل في أذن السامع ويستقر في قلبه أما إذا كان على عكس ذلك، فلا ثقة فيه، ومن ثم لا يصغي لدعوته، فكيف يدعو الداعي إلى المحافظة على صلاة الجماعة، وهو تارك لها؟ كيف يدعو إلى الحشمة وعدم السفور والتبرج وزوجته متبرجة؟ كيف يدعو إلى ترك الربا، وهو يتعامل بالربا؟ فهل بعد ذلك يثق الناس بدعوته؟ فهذا ينطبق عليه قول النبي ﷺ: «**يؤتى بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون: أي فلان، ما شأنك، أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه**»(1)

هذه هي نتيجة القول المخالف للفعل الذي ذمة الله ﷻ في كتابه وعاتب عليه قال تعالى: { يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ s كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لاَ تَفْعَلُونَ } [الصف:3]

وقال: { أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } [البقرة:44]

وقال تعالى: { أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَآئِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ } [البقرة:246]

فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله، ولا يستقيم سلوكه، وإن من أخطر ما يصاب به الدعاة انفصال علمهم عن عملهم، وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث.

---

(1) رواه البخاري ومسلم.

محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل مكان وزمان، ثم لا يرى أثر ذلك في نفسه وأسرته، فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال، فكيف بالذي يطالب بتحكيم شرع الله في الأمة، وهو لا يطبق شرع الله في بيته! فهذا الخطر لا يقتصر على الداعية فقط، بل يتعدى إلى كل من يدعوهم، وهذا يؤدي إلى انحراف الداعية وخروجه عن النهج الصحيح الذي يفسد من تأثر به أو سمع منه، وليعلم الداعية أن سلوكه وتصرفاته كلها مرصودة من قبل الناس، وجميع أفعاله وأقوله موضوعة تحت أعين الناس.

فليحتط الداعية لهذا الأمر المهم، ويراقب أفعاله وأقواله، وحركاته وسكناته، حتى لا يكون عقبة في وجه الدعوة، وصادا عن سبيل الله وهو لا يشعر.

5. التواضع وعدم الكبر

الداعي إلى الله أحوج من غيره إلى خلق التواضع، لأنه يخالط الناس ويدعوهم إلى الحق، وإلى أخلاق الإسلام، فكيف يكون عارية من التواضع، وهو من ركائز أخلاق الإسلام، وخاصة أن الناس جبلوا على أنهم لا يقبلون قول من يستطيل عليهم ويحتقرهم ويستصغرهم ويتكبر عليهم، وإن كان ما يقوله حقا وصدقا، فإنهم ينفرون عن المتكبر، ويغلقون قلوبهم دون كلامه ووعظه وإرشاده، فلا يصل إليها من قوله شيء، بل قد يكون ذلك سببا إلى كرههم للحق منه ومن غيره.

والتكبر على المسلمين صفة لا تليق بالداعية، لأن تكبره يمنعه من الانصياع للحق، فيطبع الله على قلبه، ويصرفه عن آياته، وليعلم الداعية أن الكبرياء لله وحده، كما جاء في الحديث القدسي عن رب العزة: «**العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني في واحد**

منهما فقد عذبته» [1] وتوعد الله بعذاب جهنم للمتكبرين، قال تعالى: { سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ } [الأعراف:146]، وقال: { كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ } [غافر:35] وقال: { وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ } [إبراهيم:15] وقال: { إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ } [النحل:23]، وقال: { تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص:83]، وقال: { تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلاَ فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ } [القصص:83]، وقال: { وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ } [لقمان:18] والكبر سبب لرد الحق وعدم قبوله قال تعالى: { وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا } [النمل:14]

وذم النبي ﷺ الكبر فقال: **«الكبر بطر الحق وغمط الناس»** [2] أي رد الحق واحتقار الناس وسبب الكبر عجب الإنسان بنفسه لعلمه أو ماله أو جاهه أو حسبه أو نسبه أو سلطانه وغير ذلك مما يدعو إلى الإعجاب بالنفس.

والداعية إلى الله لا يسمح لذرة من الكبر أن تتسرب إلى قلبه، وإن ما عنده من علم أو مال أو سلطان أو ... هو محض عطاء الله له، ولو شاء الله لسلبه ذلك كله، فالعلم الذي عنده قليل جدا بالنسبة إلى ما يجهله. { وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً } [الإسراء:85]، وقال { وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ } [يوسف:76]

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

فعلى الداعي أن يفقه هذا الأمر جيدا، وليتق الله ربه، ولا يكون سببا لنفرة الناس من الدعوة إلى الله.

6. التجرد من المصالح الشخصية

على الداعي أن يكون متجردا من المصالح الشخصية لدى من يوجه إليهم رسالته الدعوية كأجر مالي يطلبه منهم على ما يقوم به من أداء رسالته، أو رغبة في الاستعلاء على الأتباع والاستنصار بهم للاستعلاء في الأرض على الناس، أو إلى أي شيء من مطالب الحياة الدنيا.

ورسالة الدعوة إلى الله تتضمن المطالبة بالكف عن شهوات النفوس ومحابها، ومتى أحسن المدعوون أن حامل رسالة الدعوة ذو مصلحة شخصية لديهم - ولو بعد حين – فإنهم يرفضون ما يوجهه لهم، ويصدون عنه مهما كانت الأدلة التي يقدمها لهم صحيحة سليمة، وواضحة وضوح الشمس في رابعة النهار.

ولهذا تجد الدعاة الساعين إلى مصالح شخصية دنيوية من خلال دعوتهم لدى من يدعوهم إلى سبيل ربهم، ذوي آثار ضعيفة جدا، وذلك لأن المدعوين يلاحظون أن هؤلاء الدعاة غير مخلصين في دعواهم، ويعتقدون أنهم يريدون تحقيق مصالح شخصية دنيوية من وراء دعواهم التي يقومون بها.

والداعي المرتبط بالمصالح الشخصية، تضعف همته للقيام بأداء رسالته الدعوية، لعدم وجود الجرأة الكافية لديه خوفا من أن يمنعوا عنه حاجات حياته، أو يحجبوا عنه

مصالح دنياه، وعلى ذلك لا يستطيع أن يقول كلمة الحق أمامهم حتى لا يغضبهم [1] فيضطر إلى مجاراتهم وربما شاركهم في معصيتهم أو بدعتهم، وربما تجرأ بعضهم على الفتوى [2] بغير ما أنزل الله استرضاء وتزلفا لسلطان فاسق أو جائر أو كافر ليحتفظ لنفسه بمصالح دنياه التي تتحقق له عن طريقه، أو ليستزيد منها.

ومن أخطر آفات الدعوة إلى الله أن تستخدم وسيلة للحصول على الأموال أو الجاه والسلطان والمناصب الرفيعة، أو غير هذه الرغائب من مطالب الحياة الدنيا ولذاتها وشهواتها، ولو تتبعنا سيرة الأنبياء لوجدناها خالية من المصالح الشخصية، قال تعالى:

{ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ } [ص:86]

وقال تعالى: { وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الشعراء:180]

وقال تعالى: { وَيَا قَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ } [هود:29]

وقال: { يَاقَوْمِ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلاَ تَعْقِلُونَ } [هود:51]

فالداعي إن لم يكن متفرغا للدعوة [3]، فعليه أن يكون صاحب عمل يقتات هو وأسرته منه، حتى لا يضطر إلى إذلال نفسه للناس فتسقط هيبته، فلا تستجاب دعوته.

---

(1) بعض الدعاة المرتبطين بالوظائف الرسمية لا يجرؤ أن يقول كلمة الحق إرضاء للمسئولين حتى لا يغضبوهم.

(2) هناك من أفتي بإباحة البنوك الربوية، والاحتفالات البدعية استرضاء للسلطان.

(3) المتفرغ للدعوة يأخذ أجره من بيت مال المسلمين، أو من خزانة الدولة من مال الصدقات والزكوات.

7. حسن الخلق

التحلي بمكارم الأخلاق، ومحاسـن الشـيم أمر ضروري للدعاة إلى الله، كالصـدق والأمانة والحلم، وسعة الصدر والعفة، وعدم التطلع إلى ما آتى الله عباده من زينة الحياة الدنيا، والكرم، والتواضع، ولين الجانب، والشجاعة الحكيمة، وحسن المعاشرة للناس والرفق بهم، والتودد للناس صغارهم وكبارهم، فقرائهم وأغنيائهم.

فمما لا شك فيه أنه بهذه الأخلاق يملك من أدوات التأثير في الناس، و تأليف قلوبهم للتلقي منه، والاستجابة له، وقد وصف الله الداعية الأول رسوله ﷺ بقوله: { وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ } [القلم:4] ، وبين له أهمية الخلق بقوله: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ } [آل عمران:159]

وبين لنا النبي ﷺ مكانة الخلق الحسـن فقال: «**أكمل المؤمنين إيمانا، أحسـنهم خلقا، وخياركم خياركم لنسائهم**» (1)، وقال: «**ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق وإن الله يبغض الفاحش البذيء**» (2)

---

(1) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

(2) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

فعلى الداعية أن يجاهد نفسه للتحلي بالأخلاق الحسنة، والتخلي عن الأخلاق السيئة، فإن العلم بالتعلم، والحلم بالتحلم، كما جاء في الحديث الشريف: «ومن يستعفف يُعفه الله، ومن يتصبر يصبره الله....»(1)

أما المحروم من مكارم الأخلاق ومحاسن الشيم فتأثيره في الناس تأثير مضاد تماما، إنه بسوء خلقه يجعل الناس تنفر منه، وتتباعد عنه، ولا تكترث لأقواله ونصائحه، وإن كان من أكثر الناس علم وفصاحة، ومثل هذا لا يصلح لمخالطة الناس ومعاشرتهم، ودعوتهم إلى دين الله ﷻ.

كيف يقبل الناس نصح كذاب معروف لديهم بالكذب؟

كيف يستجيب الناس لإرشاد خائن لا أمانة عنده؟

كيف يقبل الناس نصح حسود يتطلع إلى ما في أيدي الناس من زينة الحياة الدنيا؟

كيف يصبر الناس على ملازمة فظ غليظ القلب تنفر النفوس من ملاقاته والاستماع لأحاديثه؟

كم نشاهد من داع إلى الله ذي علم قليل تجتمع عليه الجماهير، وتحبه، وتتأثر بنصائحه ومواعظه، لأنه صدوق اللسان، أمين ودود حليم، واسع الصدر، عفيف، كريم، متواضع، لين الجانب.

هذا الداعية يجب أن تتفوق فيه الصفات الخلقية الكريمة حتى يستطيع أن يدعو الناس للخير.

---

(1) جزء من حديث متفق عليه.

8. عدم الانتصار للنفس

وهذه الصفة من الصفات التي يجب ألا تنفك عن الداعية في جميع أحيانه، فلا ينتصر لنفسه إذا نال أحد منه، بل ينتصر الله تعالى ولدينه، وهذه هي صفة التي لا فكان لا يغضب إلا إذا انتهكت حرمات الله.

فعن أنس بن مالك ﵁ قال: «كنت أمشي مع رسول الله ﷺ وعليه برد بحراي غليظ الحاشية، فأدركه أعرابي، فجبذه بردائه جبذة شديدة، فنظرت إلى صفحة عاتق النبي ﷺ وقد أثرت بها حاشية الرداء من شدة جذبته، ثم قال: يا محمد، مرلي من مال الله الذي عندك، فالتفت إليه فضحك، ثم أمر له بعطاء [1]

وعن أبي مسعود عقبة بن عامر البدري ﵁ قال: «**جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا!**

فما رأيت النبي ﷺ غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: «يا أيها الناس: إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والصغير وذا الحاجة» [2]

وعن عائشة ﵂ قالت: ما ضرب رسول الله ﷺ شيئا قط بيده، ولا امرأة ولا خادما، إلا أن يجاهد في سبيل الله، وما نيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم الله تعالى»[3]

---

(1) متفق عليه.

(2) متفق عليه.

(3) رواه مسلم.

فالداعية يجب عليه أن يتجرد من حظوظ نفسه ومن شهواتها ورغباتها وأن يملك نفسه عندما ينال أحد منه، فلا يغضب إلا الله.

ولا شك أن هذا يحتاج إلى إيمان قوي، وإلى شجاعة، كما أخبر النبي ﷺ «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عن الغضب» (1)

فالانتصار للنفس يضعف الإيمان عند الداعية، وأمور الدنيا تغلب على أمور الآخرة فتصبح نظرته نظرة دنيوية، والنفس هي المقياس للحق والباطل، وهذا يثي الداعية عن دعوته، فحينئذ لا يسمعون منه، ولا يأخذون بنصائحه.

أولويات الدعوة

على الدعاة السائرين على منهج السلف الصالح، أن يبدأوا بدعوتهم بما بدأ به أنبياء الله بتحقيق العبودية لله تبارك وتعالى والكفر بالطاغوت.

قال تعالى: { وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ } [النحل:36]

وقال تعالى { وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ } [الأنبياء:25]

هذه دعوة الأنبياء إجمالا، دعوة إلى التوحيد، دعوة إلى تصحيح الاعتقاد قبل الدعوة إلى بقية الأحكام، والأحكام من حقوق التوحيد ومكملاته وهذا هو منهج الرسل والأنبياء في دعوتهم وامهم، فهذه دعوة نوح عليه السلام الذي مكث فيها ألف سنة إلا عاما.

---

(1) متفق عليه.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ هود [25، 26]

قال شيخنا ربيع بن هادي - حفظه الله -: «وهنا نتساءل لماذا يستمر هذا النبي العظيم كل هذه الآماد الطويلة، ويبذل هذه الجهود الكبيرة، دون كلل أو ملل يدعو إلى مبدأ التوحيد؟!!

ولماذا يمدحه الله ويثني عليه الثناء العاطر، ويخلد ذكره ويجعله في عداد الرسل أولي العزم؟

هل دعوة التوحيد تستحق كل هذه العناية والإكبار؟

هل هذا المنهج وتحديد هذا المنطق لهذا النبي الكريم مجانب للمنطق والحكمة والعقل؟ أو أنه عين الحكمة ومقتضى المنطق الصحيح، والعقل الواعي الرجيح؟

لماذا يقره الله على سلوك هذا المنهج في الدعوة طوال ألف سنة إلا خمسين عاما ويشيد به ويخلد اسمه وقصصه، ويكلف أعظم الرسل وأعقل البشر أن يجعل منه أسوة في دعوته وصبره؟

الجواب المنصف القائم على العقل والحكمة ومعرفة مكانة النبوة والثقة العظيمة فيها وتقديرها حق قدرها، أن دعوة التوحيد ومحاولة القضاء على الشرك وتطهير أرض الله منه تستحق كل هذا، وأنه عين الحكمة ومقتضى الفطرة والعقل، وأن الواجب على كل الدعاة إلى الله أن يفهموا هذا المنهج، وهذه الدعوة الإلهية العظيمة، والمطلب الكبير، فيكرسوا كل جهودهم وطاقاهم لتحقيقه ونشره في أرض الله كلها، وأن يتعاونوا ويتكاتفوا ويتحدوا، ويصدق بعضهم بعضا، كما كان الرسل دعاة التوحيد يبشر

سابقهم بلاحقهم، ويصدق لاحقهم سابقه ويؤيد دعوته ويسير في مضماره، ويجب أن نعتقد أنه لو كان هناك منهج أفضل وأقوم من هذا المنهج لاختاره الله لرسله وآثرهم به.

فهل يليق بمؤمن أن يرغب عنه ويختار لنفسه منهجا سواه ويتطاول على هذا المنهج الرباني وعلي دعاته؟!!!»(1)

وهذا نبي الله إبراهيم عليه السلام دعوته بالتوحيد قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا (41) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَاأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا (42) يَاأَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا (43) يَاأَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا (44) يَاأَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ مريم [41-45]

هذا تحذير شديد من إبراهيم عليه السلام، إلى أقرب الناس إليه بنبذ عبادة الأصنام التي لا تسمع ولا تضر، وفي مقابل هذا التحذير، الترغيب في اتباعه للحق الذي يترتب عليه الهداية إلى صراط الله المستقيم، وهذا الترغيب عن علم من الله الهادي إلى الحق والمنقذ من عذاب الله وهذا خاتم الأنبياء والرسل محمد ﷺ بدأ دعوته بما بدأ به كل الأنبياء والرسل، دعوة إلى التوحيد وإلى إخلاص العبادة لله وحده، بقوله لقومه: **«يا قوم، قولوا: لا إله إلا الله تفلحوا، قولوا: لا إله إلا الله ملكوا العرب والعجم»** واستمر على هذه الدعوة طيلة العهد المكي من رسالته ثلاثة عشر عاما، وتحمل كل أنواع العذاب والأذى في سبيل نشر العقيدة ونبذ الشرك قال تعالى﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ

(1) منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله فيه الحكمة والعقل ص 53-54.

الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ الزمر [11-14]

وقال تعالى { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ } [الأنعام:162]

ثم أمره الله - أن يقوم بدعوة الناس جميعا إلى عبادة الله وحده،

قال تعالى: { الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشاً وَالسَّمَاء بِنَاء وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقاً لَّكُمْ فَلاَ تَجْعَلُواْ لِلّهِ أَندَاداً وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ } [البقرة:22]

وقال تعالى: { قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِـي وَيُمِيتُ فَآمِنُواْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ } [الأعراف:158]

وورد في السنة كذلك ما دعا به النبي ﷺ الناس إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك فعن عمرو بن عبسة السلمي رضي الله عنه قال: كنت وأنا في الجاهلية، أظن أن الناس على ضلالة، وأنهم ليسوا على شيء، وهم يعبدون الأوثان، فسمعت برجل بمكة خبر أخبارا، فقعدت على راحلتي فقدمت عليه، فإذا رسول الله ﷺ مستخفيا، جرآء عليه قومه فتلطفت حتى دخلت عليه مكة، فقلت له: ما أنت؟

قال: «**أنا نبي**»، فقلت: وما نبي؟

قال: «**أرسلني الله**»، فقلت: وبأي شيء أرسلك؟

قال: «**أرسلني بصلة الأرحام، وكسر الأوثان، وأن يوحد الله لا يشرك به شيء**».

فقلت له: ومن معك على هذا؟

قال: «**حر وعبد**»

قال: ومعه يومئذ أبو بكر وبلال ممن آمن به ... الحديث[1]

وفي أسئلة هرقل لأبي سفيان في مدة صلح الحديبية عن حال رسول الله ﷺ قال لأبي سفيان: ما يأمركم؟ قال أبو سفيان: قلت: يقول: «**اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم، ويأمر بالصلاة، والصدق، والعفاف، والصلة**»[2]

ولم يقتصر النبي ﷺ على دعوة التوحيد في العهد المكي فقط، بل وبعد أن قامت دولة الإسلام في المدينة، ظل الاهتمام بالتوحيد، بل أخذ البيعة من النساء على عدم الشرك بالله وهو التوحيد.

قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة:12]

وهذه الآية وإن نزلت في بيعة النساء إلا إنه ﷺ كان يبايع الرجال كذلك على التوحيد. فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: «كان رسول الله ﷺ في مجلس فقال: «**تبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم والآية التي أخذت على النساء** ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ﴾ **فمن وفي منكم، فأجره على الله، ومن**

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه البخاري.

أصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله عليه فهو إلى الله إن شاء غفر له وإن شاء عذبه» (1)

وعن عوف بن مالك الأشجعي ﷺ قال: كنا عند رسول الله، تسعة أو ثمانية أو سبعة، فقال:

«ألا تبايعون رسول الله ﷺ «فقلنا: قد بايعناك يا رسول الله. ثم قال: «ألا تبايعون رسول الله؟ «قال: فبسطنا أيدينا وقلنا: قد بايعناك يا رسول الله، فعلام نبايعك؟ قال: «على أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا، والصلوات

الخمس، وتطيعوا [وأسر كلمة خفية] ولا تسألوا الناس شيئا» فلقد رأيت بعض أولئك النفر يسقط سوط أحدهم فما يسأل أحدا يناوله إياه» (2)

وبعث معاذ إلى اليمن أميرا وقاضيا ومعلما، فقال له ﷺ في وصيته: «إنك تأتي قوما من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله – وفي رواية إلى أن يوحدوا الله - وإن رسوله الله ...» الحديث(3)

ولأهمية التوحيد، شرع الجهاد من أجله

قال تعالى: { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ } [البقرة:193]

---

(1) متفق عليه.

(2) رواه مسلم.

(3) متفق عليه.

قال ابن جرير ﵀ في تفسيره: «يقول تعالى ذكره لنبيه :وقاتلوا المشركين الذين يقاتلونكم حتى لا تكون فتنة» يعني حتى لا يكون شرك بالله، وحتى لا يعبد دونه أحد، وتضمحل عبادة الأوثان والآلهة والأنداد، وتكون العبادة والطاعة لله وحده دون غيره من الأصنام والأوثان ... «قال قتادة: حتى لا يكون شرك.

وقال: المراد بالدين الذي ذكره الله في هذا الموضع: العبادة والطاعة لله في أمره ونهيه.

ثم ساق إسناده إلى الربيع: «يكون الدين لله» يقول: حتى لا يعبد إلا الله، وذلك لا إله إلا الله عليه قال رسول الله وإليه دعا»[1]

وعن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه، وحسابه على الله** »[2]

ففي هذا الحديث ركز النبي ﷺ على التوحيد، ولم يتعرض لغيره، وذلك لأهميته وعظمه، لأن كل أمور الإسلام من مقتضياته ومستلزماته.

هذا هو منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله، الدعوة إلى التوحيد أولا، فإذا تمكنت العقيدة في نفوس وقلوب المسلمين، كان من السهل جدا أن يتقبلوا باقي الأحكام والشرائع.

فعجبا لمن ينتسب للدعوة، وهو مهمل لهذا الجانب، مدعيا بأن أولويات الدعوة: الدعوة إلى الحاكمية ولا يعلم أن هذا من مكملات التوحيد.

---

(1) جامع البيان 2/194-195.

(2) رواه مسلم.

قال الشيخ الفوزان - حفظه الله -: «أن تحكم الشريعة، وإقامة الحدود، وقيام الدولة الإسلامية واجتناب المحرمات، وفعل الواجبات كل هذه الأمور من حقوق التوحيد ومكملاته، وهي تابعة له فكيف يُعتنى بالتابع ويهمل الأصل؟»[1] ثم قال[2]: ولما كان الإسلام ذا فروع متعددة وأقسام متنوعة كان لا بد من «البداءة بالأهم فالأهم. بأن يدعو أولا إلى إصلاح العقيدة: بالأمر بإخلاص العبادة الله والنهي عن الشرك، ثم الأمر بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة، وفعل الواجبات، وترك المحرمات، كما هي طريقة الرسل جميعا ... وفي طريقته وسيرته في الدعوة خير قدوة، وأكمل منهج، حيث مكث ﷺ سنوات يدعو الناس إلى التوحيد، وينهاهم عن الشرك، قبل أن يأمرهم بالصلاة والزكاة والصوم والحج، وقبل أن ينهاهم عن الربا والزنا والسرقة، وقتل النفوس بغير حق»[3] فما على الدعاة إلا أن يسلكوا هذا المنهج النبوي، حتى تثمر دعوتم، وإذا خالفوا ذلك فلا ثمرة لدعوتهم.

مشكلات الدعوة وعقباتها

المراد بمشكلات الدعوة وعقباتها: «مجموعة الأخطاء والمعوقات التي يقع فيها الدعاة، أو يواجهونها في طريق دعوتهم داخلية كانت أو خارجية وتشكل عقبة أو

---

(1) من مقدمة الشيخ الفوزان لـ «منهج الأنبياء» ص 8.

(2) الشيخ علي الحلبي، الدعوة إلى الله بين التجمع الحزبي والتعاون الشرعي ص 35.

(3) من مقدمة الشيخ الفوزان ل «منهج الأنبياء» ص 9.

مشكلة في سبيلهم، سواء أكانت هذه الأخطاء والمعوقات في جانب المفاهيم الدعوية، أم في جانب المناهج والأساليب والوسائل» (1)

وهذه المشكلات والعقبات قد تكون من الدعاة أنفسهم من أساليبهم ووسائلهم ومناهجهم في الدعوة الذي يتعدى أثره إلى الآخرين شعر بذلك أو لم يشعر، وقد قيل: زلة العالم زلة العالَم، وهذه الأخطاء الدعوية قد تكون في بعض الدعاة، ولكن لا تعتبر هذه الأخطاء ذريعة للناس من عدم السماع للدعاة والأخذ عنهم، فالكل من الدعاة عندهم تقصير في هذه المهمة العظيمة

وكان علماء السلف يهتمون بمعالجة أخطائهم قبل اهتمامهم معالجة أخطاء الآخرين، فالداعية لا بد أن يلوم نفسه قبل أن يلوم الآخرين، ويتهم نفسه قبل أن يتهم الآخرين.

قال تعالى: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران:165]

وقال: { أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَـذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } [آل عمران:165]

وقال: { مَّا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِاللّهِ شَهِيدًا } [النساء:79]

وإذا فشل الداعية في دعوته، علل ذلك بغفلة المسلمين وتفرقهم، وأعاد سبب الغفلة إلى الحكام وبرأ نفسه من الفشل، فهذا الخطأ يتحمله المجتمع والحكام والدعاة - إلا من

---

(1) المدخل إلى علم الدعوة ص 346.

رحم ربي - وهو راجع إلى عدم اتباع المنهج النبوي في الدعوة إلى الله تبارك وتعالى، ومن هذه الأخطاء:

1. التنظيمات الحزبية: هكذا فهم بعض الدعاة، أن دعوهم مقتصرة على حزب وتنظيم واحد، بدل أن تكون الدعوة ربانية وإرثا نبوية لجميع المسلمين، اقتصروها على أنفسهم فقط، فنتج عن ذلك تضييق أساليب ووسائل الدعوة من تحقيق غاياتها إلى غايات وأهداف التنظيمات الحزبية من عقد الولاء والبراء على الحزب، والحب والبغض في الحزب، وهل مثل هذا تكون الدعوة؟!

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ﵀: «من نصب شخصا كائنا من كان، فوالى وعادى على موافقته في القول والفعل فهو من الذين ﴿ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا ﴾ [الأنعام:159]»[1]

2. السرية في الدعوة: بعض الدعاة يقضون معظم حياتهم في الدعوة تحت الأرض، وفي الظلام يحبون الشباب ويظنون بهذا أنهم يحسنون صنعا.

والسرية في الدعوة تفصل بين الداعي والمدعو، مما يضعف العلاقات الأخوية بين المؤمنين عامة وبين الدعاة خاصة، إذ تقتصر الدعوة على أفراد معينين، وهذا قضاء على الدعوة، وعقبة في طريقها وكل من تجمع على السرية، فليعلم أنه على تأسيس ضلاله.

3. مخالفة منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله: بعض الدعاة خالفوا منهج الأنبياء في دعوتهم، فتركوا الأهم وهو التوحيد وركزوا على شغل الناس في السياسة، لا هم

(1) الفتاوى الكبرى 2/239-240.

عالجوا الأمور الشركية والبدعية، ولا هم غيروا الواقع السياسي، إنما هي العاطفة التي جرفت الشباب وصرفتهم عن العلماء وعن طلب العلم، فما الفائدة من خطيب مكث ساعة على المنبر وهو يرغي ويزبد في السياسة، ماذا استفاد الحاضرون من هذه الساعة التي يسمعها يوميا صباحا ومساء من الإذاعات المرئية والمسموعة، وهذا تحصيل حاصل لا فائدة منه فالمرأة العجوز في هذا الزمان أصبحت من فقهاء السياسة هذا فضلا عن الشباب المتعلم والمثقف فاستغلال الوضع السياسي لتهييج النفوس عقبة في طريق الدعوة.

4.عدم العلم والبصيرة: هناك من يدعو إلى الله، ولكنه يتخبط على غير علم وبصيرة، فالواجب على الداعية أن يكون على بصيرة في دعوته، قال تعالى: {قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللّهِ وَمَا أَنَاْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف:108]

قال شيخنا محمد أمان ﷺ: «البصيرة هي العلم الذي مصدره الوحي والفقه الدقيق الذي يستفيد منه الداعية الحكمة وحسن الأسلوب وكسب القلوب والتحبب إلى الناس دون تملق ولا نفاق...» (1)

ففاقد الشيء لا يعطيه، كيف يدعو من لا علم عنده !، وكيف يدعو من لا فقه عنده! فالعلم لا بد منه للداعية، والجاهل لا يصلح للدعوة، بل يضرها.

5. التناقض بين الأقوال والأفعال: الأمة الإسلامية تتأثر بالأفعال أكثر من الأقوال، وهي بحاجة ماسة إلى دعاة توافق أقوالهم أفعالهم في أنفسهم وفي بيوتهم وفي حياتهم

---

(1) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ص24.

الخاصة والعامة ليصبحوا قدوة للمجتمع الذي يعيشون فيه، وسيرة الداعية تؤثر في المجتمع أكثر من أقواله.

قال شيخنا محمد أمان ﷺ: «فكم تشكو الدعوة الإسلامية في العصر الحديث من تناقض الدعاة، تشكو من دعاة يعظون ولا يتعظون، يقولون ما لا يفعلون، يأمرون ولا يأتمرون، ينهون ولا ينتهون، دعاة تكذب أفعالهم أقوالهم في الغالب، نسمع خطب منبرية قوية وتحمسات وانفعالات، وثرثرة ولا شيء غير ذلك (نسمع جعجعة ولا نرى طحنا [1]

6. عدم الاهتمام بالتصفية والتربية: هناك بعض الأشياء دخيلة على الإسلام شوهت جمال الإسلام ومحاسنه، فبعض الدعاة أخذ يدعو بها الناس بغض النظر عن صحتها وسلامتها، لجهله بالعلم الشرعي، ومن هذه الأشياء الأحاديث الضعيفة والموضوعة، والعقائد الباطلة، والمناهج الفاسدة، فعلى الدعاة أن صفوا الإسلام من هذه الشوائب ويربوا الناس عليها، فلا يتكلم إلا بحديث صحيح، ولا يدع إلا إلى عقيدة سلفية، ولا يسلك في دعوته إلا بمنهج سلفي، فالتربية الإسلامية الصحيحة تتم ببناء الفرد بناء إسلاميا سليما، فهذا هو البناء الحقيقي لكل فرد في المجتمع.

7. **المداهنة:** من بعض الدعاة من يداهن السلطان والأصحاب والأنصار، رغبة في إرضائهم بالسكوت أو بإصدار الفتاوى المخالفة لحكم الله تبارك وتعالى، فمنهم من يبيح بعض الأعمال الربوية المحرمة، ويوجد ها تخريجات باطلات إرضاء للحكام، حتى

(1) مشاكل الدعوة والدعاة في العصر الحديث ص23.

يظفر منهم منصب، ومنهم من يدعو لوحدة الأديان، ومنهم من يجعل الاشتراكية والديمقراطية من الإسلام، ومنهم من يجالس الفسقة والعصاة لإرضائهم فهذه من العقبات التي تواجه الدعوة.

الدعوة والجهاد

على الدعاة إلى الله أن يعلموا أن الدعوة إلى الله بعد مجاهدة النفس من الجهاد لإعلاء دين الله، ونشره بين الناس، فنشر الدعوة بين الناس هو الفتح والنصر الحقيقي، أما نصر المسلمين على أعدائهم بقوة السلاح فهو فتح ونصر من الدرجة الثانية.

وقد وصف الله ﷻ صلح الحديبية الذي جرى بين الرسول ﷺ ومشركي مكة بأنه فتح مبين، قال تعالى: { إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا } [الفتح:1]

وهذا الفتح هو انتشار الإسلام وامتداده عن طريق الدعوة إلى دين الله وصراطه المستقيم.

لقد انطلقت الدعوة إلى الإسلام بعد صلح الحديبية في مكة، وفيما حولها، وفي قبائل العرب، وأخذ الإسلام ينتشر بحرية، وقام الصحابة رضي الله عنهم بدعوتهم آمنين مطمئنين في أهل مكة، وفي مختلف قبائل العرب. فهل بعد هذا النصر من نصر؟

قال الإمام الزهري: «**فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها، وأمن الناس بعضهم بعضا، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئا إلا دخل فيه، ولقد دخل في تينك السنتين «أي: من صلح الحديبية الذي كان في شهر ذي القعدة من سنة ست للهجرة حتى فتح مكة»**

مثل من كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر [(1)].

قال ابن هشام: والدليل على قول الزهري أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة في قول جابر بن عبد الله، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين في عشرة آلاف.

فالمقصود إذن من الجهاد هو دعوة الناس إلى الله، وهدايتهم وإرشادهم، وليس لقتلهم وإسالة دمائهم، وإنما شرع الجهاد إنقاذا للبشرية من الذين تصدوا للدعوة ووقفوا حجر عثرة لها ومنعوها من التقدم ولم يسمحوا لها أن تصل إلى البشرية جمعاء.

إذن الدعوة إلى الله أولا، ثم إذا أبوا الجزية، ثم إذا أبوا القتال، هذا هو الترتيب النبوي والدعوة لا تتحقق في واقع المجتمعات إلا بالجهاد، وهو بذل غاية الجهد ضمن حدود الاستطاعة والصبر وبه يتحمل المجاهد المبلغ للدين متاعب جسدية ونفسية، فإذا أراد الداعية أن ينال الدرجة الرفيعة في الجنة فعليه أن يضاعف جهاده وصبره، ويضحي بماله ونفسه ضمن حدود الاستطاعة.

فيخطئ من يظن أن الجهاد هو جهاد السيف فقط، ولا يضعون أن من صور الجهاد في سبيل الله، جهاد الدعوة إلى دين الله.

والدعوة إلى الله تدخل في مراتب الجهاد الأربع وهي [(2)]:

(1) تهذيب سيرة ابن هشام ص 229.

(2) انظر زاد المعاد لابن القيم 2/39.

1 . **جهاد النفس**: ويدخل فيه مجاهدة النفس على الدعوة إلى الله وتعليم الدين للمسلمين.

2 . **جهاد الشيطان**: ويدخل فيه مجاهدته لدفع ما يلقي من الشبهات والشهوات والشكوك، وهذا لا يكون إلا بالدعوة.

3 . **جهاد الكفار والمنافقين**: وهذا يكون بالنفس والمال واللسان الذي منه الدعوة كذلك.

4. **جهاد الظلم والبدع والمنكرات**: وهذا يكون كذلك بدعوة الناس وتعليمهم.

الدعوة إلى الله وأثرها في إصلاح المجتمع

الدعوة إلى الله لها أهمية في الحفاظ على الدين وشعائره في المجتمع المسلم، وحاجة الناس إليها أشد من حاجتها إلى الماء والطعام والشراب، إذ النفس البشرية لا تسعد ولا يصلح حالها ولا يطمئن قلبها إلا هذا الدين العظيم، وهذا الدين لا ينتشر إلا بالدعوة إليه، وهذا يعتبر من باب التعاون على البر والتقوى، قال تعالى: { وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ } [المائدة:2]

فالدعوة إلى الله ظاهرة شرعية تعاونية على البر والتقوى بين أفراد المجتمع الإسلامي وجماعاته، فالإنسان الفرد ضعيف عن السيطرة على أهواء نفسه وشهواتها، فهو في حاجة إلى من يساعده لكبح جماحها من أخ مؤمن ناصح أمين لتقوى به إرادته وعندئذ

يستطيع أن يتغلب على نوازع نفسه وإلا لو أطلق لها العنان لارتكبت كبائر الإثم والعصيان من الفسوق إلى الفجور، فالكفر والطغيان الذي يترتب عليه إفساد المجتمع. لكن المجتمع الذي يكون أفراده بعضهم على بعض رقباء، رجالا ونساء، والدعوة قائمة بينهم تعليما وإرشادا ونصحا، هذه الرابطة تمنع الأفراد من الانحراف العلي، وهذا من شأنه أن يخفف الانحراف في المجتمع إلى أدنى الحدود الممكنة في واقع المجتمعات البشرية، فالمؤمنون بعضهم أولياء بعض، وهذا يوجب أن يكون بعضهم لبعض أعوانا وأنصارا على كل عدو لهم حتى نفوسهم ووساوس شياطينهم، وأن يكون بعضهم لبعض نصحة مرشدين، ثم آمرين بالمعروف و ناهين عن المنكر، قال تعالى: { وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ } [التوبة:71]

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: «أي: **يتناصرون ويتعاضدون**» [1] والدعاة إلى الله والمصلحون سبب لرفع البلاء عن المجتمع، قال تعالى: { فَلَوْلاَ كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الأَرْضِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُواْ مَا أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ } هود [116]

فإذا زال صح المجتمع، ولا يتم إزالة الفساد إلا بالدعوة إلى الإصلاح، وهذا لا يتأتى إلا من الدعاة المخلصين المصلحين.

(1) تفسير القرآن العظيم 2/369.

قال ابن كثير في تفسير هذه الآية: «**يقول تعالى: فهلا وجد من القرون الماضية بقايا من أهل الخير ينهون عما كان يقع بينهم من الشرور والمنكرات والفساد في الأرض**»[1]

فإن وجود هذا الصنف من أهل الخير يكون مانعة من الهلاك، وهذا عين المصلحة للمجتمع، وبغير ذلك يكون الفساد والإفساد الذي يضر بالمجتمع.

(1) تفسير القرآن العظيم 2/464.

الخاتمة

الدعوة إلى الله وظيفة الأنبياء ومن سار على منهجهم من العلماء والدعاة الذين قاموا بهذه المهمة على علم وبصيرة مستخدمين في ذلك الوسائل الشرعية، بعيدين كل البعد عن الوسائل البدعية التي أحدثها أهل الأهواء والبدع، مستنيرين بنور الوحيين الكتاب والسنة مستعينين بفهم سلفنا الصالح رضي الله عنهم ولا يهمنا بعد ذلك من أنكر علينا منهجنا في الدعوة إلى الله.

قال ابن القيم رحمه الله: «**فما ذنب أهل السنة والحديث، إذا نطقوا بما نطقت به النصوص، وأمسكوا عما أمسكت عنه ووصفوا الله بما وصف به نفسه، ووصفه رسوله ﷺ، وردوا تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، الذين عقدوا ألوية الفتنة، وأطلقوا أعنة المحنة، وقالوا على الله وفي الله بغير علم، فردوا باطلهم وبينوا زيفهم، وكشفوا إفكهم، ونافحوا عن الله ورسوله ﷺ**»[1]

والله تبارك وتعالى قيض لهذه الأمة بعد سلفها من العلماء الربانيين المخلصين الناصحين الداعين على منهج السلف الكرام، الذين حملوا لواء الدعوة، فكانت لدعوتهم الثمرة الطيبة من إصلاح المجتمع وتربية النشء على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة، فها هم الدعاة اليوم من تخرجوا على أيدي العلماء الربانيين، الذين يقومون بواجبهم الدعوي تجاه مجتمعاتهم، فأجادوا نصحهم وتعليمهم بالحكمة والموعظة الحسنة، فجزاهم الله خيرا عنا وعن جميع المسلمين.

---

(1) الصواعق المرسلة 1/263-262.

فالدعوة إلى الله لا لها كل إنســان، إلا من توفرت فيه شروط الداعي وصــفاته، حتى تكون لدعوته اســتجابة من المدعو، وهذا لا يتحقق إلا بالتطبيق العملي لما يدعو، وحتى لا يصـطدم مع المدعو، لا بد له من اسـتخدام الأسـاليب الشرعية في دعوته مع الحرص الشديد على دعوة الناس إلى التوحيد الخالص وتحذيرهم من الشرك والخرافات والبدع، التي عمت وطمت في كثير من بلاد المسلمين، مع مراعاة الأهم ثم المهم فإذا سار الدعاة على منهج الأنبياء في دعوتهم، تحقق الخير على أيديهم وانتشر التوحيد والأخلاق، والتزم الناس بالعبادات و كانوا خير أمة أخرجت للناس:

{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ} آل عمران [110]

ندعو الله أن نكون من هذه الأمة التي اتصفت بالخيرية واتبعت هدي نبيها ﷺ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات